السنة والشيعة

وحدة الدين
خلاف السياسة والتاريخ

أحمد الكاتب - د. محمد عمارة

مكتبة النافذة

السنة والشيعة

وحدة الدين

خلاف السياسة والتاريخ

تأليف

أحمد الكاتب - د. محمد عمارة

الناشر

مكتبة النافذة

السنة والشيعة

وحدة الدين
خلاف السياسة والتاريخ

تأليف

أحمد الكاتب - د. محمد عمارة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٨

رقم الإيداع ٢٤٧٨ / ٢٠٠٨

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة

كل الحقوق محفوظة

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى

الثلاثينى(ميدان الساعة) - فيصل

Tel: 37241803 Fax: 37827787

Mob: 012 3595973

Email: alnafezah@hotmail.com

دراسة وتقديم

الشيعة والسنة

جوهر الخلاف.. وسُبُل التقريب

تأليف

د. محمد عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم

{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩].

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٦٣].

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف: ٤]

{إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢]

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦].

{وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﷺ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﷺ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ} [المؤمنون: ٥٢ - ٥٤].

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: ١٥٩].

* * *

عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد»

رواه الإمام أحمد فى المسند.

تمهيد

فى بداية عقد السبعينيات من القرن الماضى - العشرين الميلادى - وأثناء جمعى للمادة العلمية لرسالة الدكتوارة فى موضوع [نظرية الإمامة وفلسفة الحكم عند المعتزلة] - وهى دراسة مقارنة بين المعتزلة والشيعة بالدرجة الأولى، افتقدت فى مكتبتى عددا من المصادر الأساسية فى الفكر الشيعى - من مثل [الأصول من الكافى] - للكلينى [٣٢٨ هـ ٩٤١م] - وغيره من المصادر الأساسية التى جمعت الرؤية الشيعية للإمامة ومعالم المذهب وعقائده عند الإمامية الإثنى عشرية.

ولقد نبهنى بعض الأصدقاء إلى مكتبة شيعية «خاصة» فى حى الدقى ، بالقاهرة الكبرى ييسر صاحبها للراغبين من الباحثين والقراء الاطلاع على المصادر والمؤلفات فى الفكر الشيعى.. فذهبت إليها، وتعرفت على صاحبها، ووجدت فيها أغلب ما أريد.

ولأنى - فى ذلك التاريخ - كنت قد نشرت عددا وافرا من المؤلفات والتحقيقات، فلقد وجدتنى معروفا لدى صاحب المكتبة، الذى احتفى بى، ويسر لى الحصول على ما أريد من المصادر والمراجع.. بل وتوطدت بيننا علاقة مودة تبادلنا فيها الزيارات لعدة سنوات.

كانت هذه المكتبة تشغل قاعة كبيرة فى منزل صاحبها «حجة الإسلام السيد طالب رفاعى» وهو شيعى عراقى، يعيش فى مصر - كما يقول - لإنجاز دراساته العليا - فى النحو - بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

* وأثناء جلوسى الطويل للاطلاع فى مكتبته لفت انتباهى - من أحاديثه مع بعض المترددين عليه - أن الرجل إنما يقوم بنشر فكر التشيع فى مصر، ويعمل على «تجنيد» الأنصار، و «زرع» الخلايا الشيعية بين المصريين السنة «ولقد أعاننى على فهم معالم هذه المهمة وتفسير العبارات التى كنت أسمعها» خبرة طويلة - سابقة - لى فى التنظيمات السياسية - والسرية منها على وجه الخصوص!

وكانت السنين تمر دون أن ينجز السيد طالب رفاعى أى شىء فى دراساته العليا .. الأمر الذى أكد لدىّ أن هذه «الدراسات العليا» ليست أكثر من «الستار» الذى يمارس تحته «حجة الإسلام» نشر التشيع فى مصر، بتمويل من «الخمس» الذى تنفق منه المراجع الشيعية و «الحوزات العلمية» على مثل هذه النشاطات.

* وكنا فى جلساتنا الفكرية والعلمية نتطارح الأفكار حول المذاهب الإسلامية .. فالرجل شيعى، وأنا سنى، أبحث فى الاعتزال.. ولقد صارحنى فى إحدى هذه الجلسات بمنزلى - فقال:

إن التشيع - من الناحية الفكرية - ليست له قوة المقومات التى قام عليها الاعتزال - كالنظرية المتكاملة فى «الأصول الخمسة» - لكن الاعتزال - مع ذلك - قد طويت صفحته كفرقة، بينما استمرت الشيعة والتشيع لأنه قد حول عقائده - وخاصة فى الإمامة والأئمة - إلى منهاج تربوى يلازم الإنسان الشيعى من لحظة الولادة وحتى الوفاة والدفن والعزاء، مرورا بالأفراح والمناسبات والأدعية والزيارات التى تملأ الزمان والمكان والعقل والوجدان بالنسبة للإنسان الشيعى - فردا «وأسرة ومجتمعا».

* وإبان سنوات هذه العلاقة التى ربطت مودتها بينى وبين السيد طالب رفاعى كنت أتساءل بينى وبين نفسى - متعجبا:

- لماذا يبذل إخواننا الشيعة الجهود والأموال والسنين لنشر التشيع وزرع الخلايا الشيعية فى المجتمعات السنية؟! «ألسنا جميعا مسلمين؟!

إن المجتمع المصرى تتعايش فيه المذاهب السنية الأربعة - الشافعى - والمالكى - والحنفى - والحنبلى - ولم يشغل أحد نفسه - فى هذا المجتمع بتحويل إنسان من مذهب إلى مذهب آخر ولم ينفق أحد جهدا ولا مالا فى نشر المذاهب السنية فى المجتمعات الشيعية لسبب بسيط هو أننا جميعا مسلمون.

وتذكرت كيف أنى عندما تقدمت للالتحاق بمعهد دسوق الدينى - فى الأزهر الشريف سنة ١٩٤٥م «اقترح على من كتب لى طلب الالتحاق أن أدرس الفقه على المذهب الحنفى - لأكون قاضيا شرعيا - فوافقت.. ثم لما التحقت بالمعهد غيرت المذهب من الحنفى إلى المالكى - لانتشار المذهب المالكى فى قريتى وحولها - ولقد تم ذلك دون عناء «فكلنا مسلمون» وساحة مصر تحتضن كل تراث الأمة.. حتى أنك لا تجد - فى مساجدها - من يسأل عن مذهب الإمام أو المأموم.

بل وتساءلت أيضاً:

- لماذا هذا الحرص الشيعى على نشر التشيع وزرع خلاياه وتنظيماته فى مصر على وجه الخصوص؟!.

ولقد أدركت - من الحوارات - أنهم يحنون إلى إعادة مصر إلى التشيع، لا لمركزها وثقلها وتأثيرها الإسلامى والقومى والحضارى فقط، وإنما لأنها قد سبق وحكمها الشيعة الإسماعيلية الفاطميون [٣٥٨هـ ٩٦٩م - ٥٦٧ هـ ١١٧١م].. وسبق للأزهر أن كان الجامعة الشيعية التى أقامها الفاطميون.. والتى قام على التدريس فيها دعاة الشيعة الإسماعيلية وفقاؤها.. فكان «الحوزة الشيعية الإسماعيلية» لنحو قرنين من الزمان.

إذن فنحن أمام جنين شيعى يحلم أصحابه بتغيير «الخريطة المذهبية» فى العالم الإسلامى وفى مصر على وجه الخصوص:

* ولقد امتدت الإقامة بالسيد طالب رفاعى فى مصر .. ودام نشاطه فى زرع التشيع إلى ما بعد قيام الثورة الشيعية الإسلامية بإيران [١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م].

وعندما استضاف الرئيس الراحل أنور السادات [١٣٣٦ - ١٤٠٢هـ ١٩١٨ - ١٩٨١م] الشاه الإيرانى الذى أسقطته الثورة - محمد رضا بهلوى [١٣٣٧ - ١٤٠٠هـ ١٩١٩ - ١٩٨٠م] فى مصر.. ومات بها استدعت الحكومة المصرية «حجة الإسلام الشيعى السيد طالب رفاعى» ليصلى على جثمان الشاه فى الجنازة الشهيرة التى أقامها له السادات وبومئذ غضب قادة الثورة الإسلامية بإيران على السيد طالب .. وهاجموه، لأنه كرم الشاه ! وارضى السادات.

* ثم ما لبثت قصة السيد طالب رفاعى أن انتهت بمفارقة ذات دلالات.

فالرجل قد اشترى - من أموال «الخمس» مسكنا فسيحا ونقل إليه المكتبة الكبيرة وتزوج مصرية - ثم اكتشف - فى النهاية - أن كل ذلك - بما فيه نشاطه الدعوى المذهبى والتنظيمى - وحتى زواجه - إنما كان يتم تحت أعين الأجهزة الأمنية! فغادر مصر، خاسرا زوجته ومكتبته .. ودون حصاد ذى قيمة للنشاط الذى بذل فيه الجهد والمال على امتداد السنوات الطوال!

* ولقد تولى المهمة بعد السيد طالب رفاعى - شاب عراقى نابه.. عاش بمصر لسنوات، ينجز دراساته العليا فى الفلسفة الإسلامية.. ولقد جمعت بينى وبينه علاقات مودة حتى كان يعد نفسه - ونعده واحدا من أبنائنا .. ولا زالت تربطنا وبأسرته علاقات المودة والمحبة والتقدير - بعد مغادرته مصر - حتى هذه اللحظات.

ورغم أنى كنت أدرك رعايته لنشر التشيع فى مصر، إلا أنى لم أفاتحه فى الأمر.. وذلك إيمانا منى بأن حصاده هو الآخر - لن يتفوق على حصاد السيد طالب رفاعى كثيرا.. ذلك أن مصر التى مثلت - عبر تاريخ الإسلام - القلب والعقل والضمير للعالم السنى والفكر السنى والوسطية الإسلامية ،لم تعرف الغلو الذى يجعلها تتعصب لآل البيت.. أو تتعصب ضدهم.

لقد رفضت مصر الغلو الشيعى فى آل البيت.. ذلك الغلو الذى ألّههم عندما قال «بالإمامة الإلهية وتأليه الأئمة» رفضت مصر ذلك الغلو حتى عندما حكمها الشيعة الإسماعيلية الفاطميون فكانت السلطة شيعية تكفّر الصحابة وأصل السنة والجماعة وتكتب لعن أبى بكر [٥١ق هـ - ١٣ هـ - ٥٣٣ ٦٣٤م] وعمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ ٥٨٤ - ٦٤٤ م] على جدران المساجد بماء الذهب! وكان الشعب المصرى سنيا، يحب آل البيت وجميع الصحابة - عليهم رضوان الله- بل وكان هذا الشعب - فى معارضاته للفاطميين ومظاهراته ضد الدولة والسلطة - «يغيظ» الشيعة فيهتف: «معاوية خال المؤمنين»! «مذكرا إياهم بأن معاوية بن أبى سفيان [٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ ٦٠٣ - ٦٨٠م] - الذى يكرهونه ويكفرونه - هو خال المؤمنين ، لأن أخته «أم حبيبة» هى واحدة من زوجات رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين أى أن أخت معاوية - بنت أبى سفيان - هى من آل البيت !! [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

وعندما كان الفاطميون يقيمون الأحزان - فى عاشوراء - العاشر من محرم - ذكرى استشهاد الحسين - كان المصريون - الذين يحبون الحسين - يصنعون

«حلوى عاشوراء» نكاية في الفاطميين الشيعة الغلاة! ولقد ظلوا يصنعون ذلك حتى الآن!.

وعندما انقضى عمر الدولة الفاطمية وعادت الدولة السنية إلى مصر بقيادة صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩ هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م] مؤسس الدولة الأيوبية - لم تجد بقايا السلطة الفاطمية بين الشعب المصري نصيرا - حتى لقد سعت هذه البقايا للتحالف مع الصليبيين بين الكفار الأعداء - ضد الدولة السنية التي قادها صلاح الدين!

* ومع هذا الرفض المصري للغلو الشيعي في «الإمامة الإلهية» و«تأليه الأئمة» - كان الحب المصري لآل بيت رسول الله ﷺ.

لقد أقامت مصر للإمام الحسين [٤ - ٦١ هـ ٦٢٥ - ٦٨٠م] مسجدا ومقاما ومزارا ومولدا وميدانا وحيا يسمى باسمه - رغم أن قدمه لم تطأ أرض مصر - ولا برهان من التاريخ على أن رأسه قد دفن فيها

وأقامت مصر للإمام زين العابدين [٣٨ - ٩٤ هـ ٦٦٨ - ٧١٢م] مقاما ومزارا ومسجدا ومولدا وحيا وميدانا - رغم أنه - هو الآخر - لم تطأ قدمه أرض مصر

وصنعت مصر ذلك الحب والولاء والمودة والاختصاص مع العديد من رموز آل البيت رسول الله ﷺ رجالا ونساء.

وفوق ذلك وقبله كان الشعب المصري - لا يزال يخص الراشد الرابع علي بن أبي طالب [٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ - ٦٠٠ - ٦٦١م] يلقب «الإمام» ويدعاء «كرم الله وجهه» في الوقت الذي يختص فيه المصريون ويحبون كل أصحاب رسول الله ﷺ - ورضي الله عنهم أجمعين.

بل لقد عبرت الأسماء الأكثر شيوعا في مصر - وللأسماء في المجتمعات دلالات دينية وسياسية واجتماعية - عن هذه الوسطية وهذا الاعتدال في الحب

لآل بيت - أي لبيت النبوة - فأكثر الأسماء شيوعا بمصر هي أسماء آل البيت - سواء منهم الذين يقدسهم الشيعة أو الذين يكفرونهم ويلعنونهم! فأسماء محمد وعلي وحسن وحسين وإبراهيم وخديجة وعائشة وفاطمة وزينب ورقية هي أكثر الأسماء شيوعا بمصر.. ومعها أسماء أبو بكر وعمر وعثمان بينما لن تجد بمصر من اسمه معاوية ولا يزيد! ولقد ولدت بأسرة ريفية ونشأت فإذا بأسمائنا جميعا هي من أسماء آل البيت بعفوية ليس وراءها تدبير.

وهكذا لن تجد مجتمعا شيعيا يشيع به أسماء آل بيت كما هو الحال في مصر، التي لم تتعصب لهم في يوم من الأيام!

* والأزهر الشريف الذي بناه الفاطميون والذي ظل لقرنين «حوزة» باطنية إسماعيلية عندما حوله صلاح الدين الأيوبي إلى جامعة لمذهب الأمة - لا مذهب الدولة الباطنية - سرعان ما سلك في مناهجه ومقرراته المنهاج الوسطي يدرس مذاهب الإسلام قاطبة بسنة منها وشيعية ويختص آراء الخلف والسلف دونما غلو أو تعصب أو انغلاق على مذهب دون المذاهب الأخرى

* * *

كان هذا هو تاريخ مصر وشعبها مع المذاهب وتيارات الفكر الإسلامي - وهو التاريخ الذي جعلني دائم التساؤل:

- لماذا هذا الحرص الشيعي على زرع الخلايا الشيعية في أوساط الشعب المصري؟! ألسنا جميعا مسلمين؟!

* ثم إن الاستعمار الغربي، الطامع تاريخيا في إعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي، الذي أنقذ هذا الشرق من القهر الديني والثقافي والسياسي والحضاري، الذي دام قبل الإسلام - عشرة قرون - من «الإسكندر الأكبر»

٣٥٦٠ - ٣٢٣ق م] في القرن الرابع قبل الميلاد إلى «هرقل» [٦١ - ٦٤١م] في القرن السابع للميلاد. إن هذا الاستعمار الغربي كان على مر تاريخه مع الشرق الإسلامي ذات حرص على زرع الفرقة الدينية والمذهبية والعرقية بين مكونات هذا الشرق، وذلك للنفاذ من هذه الثغرات لاحتواء الشرق وإعادة احتضانه من جديد.

صنع ذلك إبان الغزوة الصليبية [٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] مع بعض الطوائف المسيحية وخاصة ذات المذاهب التابعة للكنيسة الغربية - وصنع ذلك أيضا مع بقايا السلطة الفاطمية بمصر.

ولقد جعل هذا الاستعمار الغربي من هذه التفرقة ومن الاختراق من خلال ثغراتها سياسة معلنة منذ غزوته الحديثة التي قادها بونابرت [١٧٦٩ - ١٨٢١م] على مصر [١٢١٣هـ ١٧٩٨م] فلقد أعلن بونابرت - وهو في الطريق من «مرسيليا» إلى الإسكندرية - إنه سيجند ٢ من أبناء الأقليات المسيحية في مصر ليكونوا ركيزة لمشروعه الاستعماري الغربي. ولقد هذا الإعلان بتكوين «القبلق القبطي» الذي قاده المعلم يعقوب حنا [١٧٤٥ - ١٨٠٠م] الذي سماه الجبرتي [١١٦٧ - ١٢٧٧هـ ١٧٥٤ - ١٧٢٢م] «يعقوب اللعين» ذلك الذي عهد إليه الجنرال الفرنسي «كليبر» [١٧٥٣ - ١٨٠٠م] - الذي قاد الغزوة بعد بونابرت «أن يفعل بالمسلمين ما يشاء فأعلن انقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»[1].

ومن على أسوار «عكا» وأثناء حصار بونابرت لها [١٢١٣هـ ١٨٩٩م] أصدر نداءه إلى يهود العالم كي يكونوا ركيزة ثانية من ركائز مشروعه لاستعمار الشرق ملوحا لهم بإقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين

---

١ - الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، جـ ٥ ص ١٣٦ تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي، سيد إبراهيم سالم، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م

ولقد مارس الاستعمار الفرنسي في المشرق هذا الدور مع الموارنة الكاثوليك.. وفي المغرب مع الأمازيغ المسلمين!

ولوضوح هذه المخططات الغربية في نشر الفوضى الدينية والمذهبية وتمزيق صفوف الأمة العربية الإسلامية لتحقيق «الهشاشة» التي تسهل للاستعمار حرب الوحدة الإسلامية كان التساؤل الدائم:

- لماذا يصنع إخواننا الشيعة - بشر التشيع في المجتمعات السنية - هذا التحلل الاجتماعي، والتمزق المذهبي، والتناحر الطائفي، فيحققون هذه المقاصد الاستعمارية وهم المسلمون الذين سيصارون - مع سائر أبناء الأمة - من هذه الطائفية التي تحتل وحدة المجتمعات؟! وإذا كان جميع المسلمين، في المكسب الإسلامي من وراء تحويل المجتمعات ذات النسيج الاجتماعي والمذهبي الموحد والقوي كمصر مثلاً إلى مجتمعات طائفية هشة وقلقة وسهلة الاختراق - مثل العراق ولبنان على سبيل المثال؟!

* ومع أن حصة التبشير الشيعي في المجتمعات السنية كانت ولا تزال هزيلة جداً فهي في أحسن الحالات تحقق مجموعات متناقضة مع محيطها الاجتماعي والمذهبي تستنفد أغلب طاقاتها في صراعات عبثية مع محيطها فلقد استمر إخواننا الشيعة في بذل هذه الجهود والأموال والأعمار في هذه البلدان حتى هذه اللحظات

بل مصر قد حسمت كل المذاهب الفقهية الإسلامية في إصلاحاتها التشريعية منذ العقود الأولى للقرن العشرين.

واحتضنت حركة التقريب بين الشيعة والسنة منذ أربعينيات القرن العشرين.

وأصدرت موسوعة الفقه على المذاهب الإسلامية الثمانية المعتمدة الأصول - الشافعي - والحنفي والمالكي والحنبلي والجعفري والزيدي والإباضي والظاهري

مع بقائها في الفلسفة وعلم الكلام - سنية أشعرية ما تريدية - أي أنها قد التزمت الوسطية الجامعة في الفقه وفي علم الكلام جميعاً - ورفضت علو التعصب لمذهب فقهي واحد أو التعصب الكلامي ضد المذاهب غير السنية.

وهي التي أحيت منذ خمسينات القرن العشرين تراث الاعتزال، فحققته ونشرته بعد أن صورت مخطوطاته من مكتبات اليمن سنة ١٩٥١م.

* * *

ولأنني بن هذه الوسطية الإسلامية الجامعة، فقد اختصت في مشروعي الفكري - كل مذاهب الإسلام وجميع أعلام الإسلام - باحثاً عن الأرض المشتركة التي توحد الأمة - وهي واسعة والحمد لله - وداعياً إلى رفض العلو الذي يمزق الصفوف ويخلخل وحدة المجتمعات.

ففي أواخر ستينات القرن الماضي، جمعت وحققت ونشرت رسائل العدل والتوحيد، وفيها حرصت على أن تضم إبداعات أعلام أهل السنة والجماعة والشيعة الزيدية والشيعة الإثني عشرية، والمعتزلة وقدمت لها بدراسة مستفيضة تكشف عن اتساع مساحة الوفاق والاتفاق والأرض المشتركة بين هذه المذاهب والتيارات وذلك في دعوة صريحة لاجتماع الأمة على ما يوحدها والابتعاد عن ما يفتح بين صفوفها الثغرات التي ينفذ منها الأعداء المتربصون.

وفي أوائل السبعينات - من القرن الماضي - نشرت دراسات عن أعلام الفكر والتاريخ الإسلامي - في كتابي [مسلمون ثوار] - وفيه حرصت على أن تتجاوز الدراسات التي كتبتها عن الأعلام والأئمة الذين يمثلون مذاهب الأمة وتياراتها الفكرية المتعددة.

وحتى عندما كتبت عن الدولة الفاطمية - إبان احتفال مصر بألفية القاهرة [١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م] - الدراسة التي نشرتها بكتابي [عندما أصبحت مصر

عربية إسلامية حرصت على إنصاف الإنجازات الحضارية التي أبدعتها الدولة الفاطمية بمصر، وانتقدت التعصب المذهبي الذي غض من شأن هذه الصفحة من صفحات التاريخ المصري، وذلك رغم أن العقيدة الباطنية العبوصية لهذه الدولة قد مثلت برأي جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] السبب والبداية في الانحطاط الذي أصاب الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي. فلقد قال الأفغاني في ذلك:

«إنه لما كان القرن الرابع الهجري، ظهر النيشريون - [الطبيعيون الدهريون] - بمصر تحت اسم الباطنية وخزنة الأسرار الإلهية، وانبث دعاتهم في سائر البلاد الإسلامية، خصوصا بلاد إيران وكان إذا سقط الساقط من المغرورين في حبالة مرشدهم الكامل فأول ما يلقيه المرشد قوله: إن الأعمال الشرعية الظاهرة (كالصلاة والصيام ونحوها) إنما فرضت على المحجوبين دون الوصول إلى الحق، والحق هو المرشد الكامل، فحيث إنك وصلت إلى الحق فإليك أن تلقي عن عاتقك ثقل الأعمال البدنية! فإذا قرر المرشد أصول الإباحة في نفوس أتباعه التمس لهم سبيلا لإنكار الألوهية وتقرير مذهب البشرية (الدهرية) .»[1]

ولقد اعتبر الأفغاني هذه العقائد الباطنية المادية للفاطميين بداية الانحطاط - وسببه - في التاريخ الإسلامي، فقال:

«لقد ذهب المؤرخون إلى أن بداية الانحطاط في سلطة المسلمين كان من يوم ظهور حرب الصليب والأليق أن يقال إن ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد البشرية (الدهرية) في صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة في نفوس أهل الدين الإسلامي .»[2]

---

١ - الأفغاني: الأعمال الكاملة، ص ١٥٨ - ١٥٩ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م

٢ - المصدر السابق ص ١٦١

فهو يجعل الهزيمة أمام الصليبيين نتيجة لشيوع العقائد الباطنية التي أشاعها الإسماعيليون الباطنية في عالم الإسلام!.

* ويسبب من هذا التوجه الفكري الوسطي والجامع، الذي دعوت فيه إلى التمييز بين الدائرة الإسلامية بكل مكوناتها المذهبية لتكون رفقاء على مذاهبها ومكوناتها، وبين دائرة العداء للإسلام لتكون أشداء في مواجهة هؤلاء الأعداء، وذلك عملا بالمنهاج القرآني ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩].

بسبب هذا التوجه الفكري قامت علاقات المودة الفكرية والتعاون العلمي بيني وبين العديد من علماء الأمة، على اختلاف مذاهبهم ومنهم الشيعة الزيدية، والإثني عشرية على وجه الخصوص. وكنت دائم الحرص على الإفضاء بآرائي هذه في الحوارات مع هؤلاء العلماء.

لقد جمعت بيني وبين الإمام الشيعي العظيم الراحل محمد مهدي شمس الدين [١٣٥٥ - ١٤٢٢ هـ ١٩٣٦ - ٢٠٠١م] مودة فكرية عميقة، سجلها في مراسلات كتبها إلي، ومنها رسالته النفيسة والمطولة عن كتابي عن الدكتور/ عبد الرزاق السنهوري باشا (١٣١٣ - ١٣٩١هـ ١٨٩٥ - ١٩٧١م] - [الدكتور عبد الرزاق السنهوري إسلامية الدولة والمدنية والعمران]

وقامت هذه المودة - ولا تزال - مع الإمام العظيم آية الله محمد حسين فضل الله - ومع العالم الفاضل آية الله سيد هادي خسرو شاهي - الذي جمعني وإياه الاهتمام بتراث جمال الدين الأفغاني منذ ستينيات القرن العشرين - وكذلك كانت المودة الفكرية والإنسانية مع الدكتور السيد محمد حاتمي

* وفي زيارتي الثانية لإيران سنة ٢٠٠١م، ضمن وفد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - للمساهمة في الاحتفال بإمامي التقريب بين الشيعة والسنة الإمام البروجردي والإمام الشيخ محمود شلتوت [١٣١٠ -

١٣٨٣ هـ ١٨٩٣ - ١٩٦٣م) - كانت لي محاورات مع العديد من علماء الشيعة حول مخاطر خلخلة وحدة الشيخ المذهبي والثقافي في المجتمعات السنية، بروع الخلايا الشيعية وكيف أن العقل والحكمة يقضيان بالامتناع عن خلخلة وحدة المجتمعات الإسلامية - السنية والشيعية منها على السواء. فلولا الوحدة الشيعية للشارع الإيراني لما نجحت الثورة الخمينية في إيران ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م) ولولا الوحدة المذهبية للمجتمعات السنية لما تصدت هذه المجتمعات لأعداء الأمة الصليبيين والتتار والاستعمار الغربي على مر تاريخ الإسلام.

كذلك دارت حوارات حول الاقتصاء الشيعي لأهل السنة في إيران فالزرادشت المجوس، واليهود، والنصارى لهم ممثلون في مجلس الشورى الإيراني بينما أهل السنة الإيرانيون - علا بينهم العديدة محرومون وحدهم من هذا الحق.

ولقد قلت لبعض علماء الشيعة في طهران - في هذه المحاورات - أنيس غريب - بل وشاذ أن يكون للمسلمين السنة مسجد ومركز إسلامي في روما - حيث الفاتيكان - بينما هم محرومون من أن يكون لهم مسجد يقيمون فيه صلاة الجمعة في طهران؟!

وفي المؤتمر صارحت علماء الشيعة بأن سمة التقريب التي انطلقت من القاهرة في أربعينيات القرن العشرين على أهميتها وعظمة العلماء الذين نهضوا بها إنما كان حصادها دون المطلوب فهي قد ركزت على التقريب بين المذاهب الفقهية، التي لا تمثل أي إشكال في علاقة الشيعة بالسنة. وحتى في هذا الميدان كان الشيعة «يأخذون» دون أن «لا يعطوا» بينما أغلقت دعوة التقريب هذه الخلاف الجوهري، وهو «نظرية الإمامة» وما أفرزه الخلاف حولها من تكفير الشيعة للصحابة وأهل السنة والجماعة - وتكفير الوهابية - أو بعضهم - للشيعة .. وللصوفية، بل وللأشعرية أحيانا!

* والأمر الغريب والمؤسف - أن هذه المحاولات والمكاشفات الموضوعية والمخلصة قد أثمرت - أحيانا - ثمرات سلبية

فمجلة «التوحيد» التي تصدر في طهران - والتي كانت تصلني بالبريد قد انقطع وصولها بعد هذه المحاورات!

ومجلة «تراث» - التي تصدر في «قم» والتي كانت تصلني بالبريد - قد انقطع وصولها بعد أن أعلنت استغرابي واستنكاري من سلسلة المقالات الافتتاحية التي نشرتها عن أعداء السنة النبوية، والتي جعلت من أبي بكر الصديق العدو الأول للسنة النبوية ومن عمر بن الخطاب عدوها الثاني

* ورغم ذلك.. استمرت علاقات المودة الفكرية والعلمية مع العديد من علماء الشيعة ومفكريهم ومناضليهم واستمر الحوار الموضوعي حول السبل الحقيقية للتقريب الحقيقي بين الشيعة والسنة حتى هذه اللحظات

* * *

لكن الحلم الشيعي بتحويل السنة إلى التشيع - وكأنه الهداية من الكفر إلى الإيمان قد ظل قائما ودائبا رغم تفاهة الحصاد حتى هذه اللحظات.

لقد نجحوا بمصر - في استقطاب «خطيب زاوية» احترف سب الصحابة وأمهات المؤمنين على منبر «الزاوية» سبا مقذعا! ثم انتهى به المطاف إلى «قم» يزيف فيها على إخوانه الشيعة القصص الخرافي عن تحول علماء السنة إلى المذهب الاثني عشري وهم ينشرون له هذه «الحكايات» في مجلدات!

ونجحوا - أخيرا - في استقطاب طبيب سموه «المتحدث الرسمي باسم الشيعة في مصر» احترف الكتابة في سب الصحابة والهجوم على الذين حرروا مصر بالفتوحات الإسلامية - من الروم البيزنطيين، وأنقذوا النصرانية المصرية من الإبادة وفتحوا أبواب مصر أمام دين الإسلام. وفي محاضرة له، لمح فيها إلى هذا السباب - أفلت يومئذ بأعجوبة من تأديب الجمهور

ولقد كتب هذا «المتحدث الرسمي باسم الشيعة في مصر» عن البطل التاريخي للإسلام صلاح الدين الأيوبي فوصفه بأنه «هو لاكو الدين الأيوبي» بينما دافع بحرارة عن الدولة الفاطمية الإسماعيلية - التي يكفرها الاثني عشرية - الذين ينطق باسمهم على صفاف النيل[1]! الأمر الذي يسيء إلى الشيعة والتشيع أبلغ الإساءات!

* * *

لذلك كله كانت سعادتي الغامرة عندما قرأت الكتاب الفذ والعمدة للعالم الفاضل الدكتور أحمد الكاتب عن [تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه] في طبعته الثانية الأولى سنة ١٩٩٧م

وكانت سعادتي عندما زارني وطلب مني أن أقدم لطبعة مصرية لهذا الكتاب فرحبت وقدمت لطبعته التي صدرت بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م

وكانت سعادتي - أيضا - عندما طلب مني أن أكتب وجهة نظر سنية لكتابه الجديد [السنة والشيعة وحدة الدين اختلاف السياسة والتاريخ]

لقد وجدت في كتابات هذا العالم الجليل الدكتور أحمد الكاتب الموقف الشيعي المخلص لوحدة الأمة الإسلامية تلك الوحدة التي تسع التعددية المذهبية التي هي نبوغ في إطار وحدة جوامع الإسلام الخمسة.

١ - وحدة العقيدة.

٢ - ووحدة الشريعة

٣ - ووحدة الحضارة.

٤ - ووحدة الأمة.

٥ - ووحدة دار الإسلام

---

١ - انظر صحيفة (القاهرة) عدد ٣٦٨ في ١ - ٥ - ٢٠٠٧م

وجدت فيه وفي كتاباته شجاعة العالم الذي ينتمي إلى مذهبه الشيعي، ويحتل بين علمائه مكانة مرموقة. ومع ذلك يبحث عن الأرض المشتركة الجامعة بين السنة والشيعة لإعادة الوحدة لأمة الإسلام

* وعندما يقارن المرء بين هذا المشروع الفكري الذي يتبناه الدكتور أحمد الكاتب وبين مشروع المراجع والأحزاب التي تحالفت مع اليمين الديني للمسيحية الصهيونية والمحافظين الجدد في الامبريالية الأمريكية والعربية والصهيونية لغزو العراق وتأجج نيران الصراع المذهبي والطائفي بين الشيعة والسنة، يدرك الفارق الجوهري والبون الشاسع بين «طوق النجاة» الذي يقدمه الدكتور أحمد الكاتب، وبين «العار والدمار» الذي تصنعه الطائفية سواء السلفية منها أو الشيعية على أرض العراق.

إن علينا أن نتحلى بالأمانة العلمية والشجاعة الفكرية التي تجعلنا نعلن

إن المأساة العراقية قد مثلت أكبر الزلازل التي أصابت العلاقات الشيعية السنية منذ قرون فهناك أحزاب شيعية تكونت وتدربت وتسلحت في ظل ولاية الفقيه الشيعية الإيرانية ثم تواطأت وتحالفت مع الصليبية الأمريكية، المدفوعة بالصهيونية اليهودية في القضاء على قوة العراق ووحدته ثم عادت هذه الأحزاب مع الغزو الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣م ودخلت عمائم كبيرة ومعها الميليشيات التابعة لها إلى بغداد على ظهور دبابات الأمريكان وطائراتهم!

وهناك مراجع شيعية كبرى يقلدها الملايين من عامة الشيعة صمتت الرضا عن الغزو الأمريكي . وأفتت بعدم المقاومة فأفسح أنصارها الطريق وفتحوا أبواب الجنوب العراقي أمام جحافل الغزو الزاحفة من الكويت - بينما أغلق البرلمان التركي في تركيا العلمانية ، أبواب شمال العراق أمام الغزاة الأمريكان

ومنذ اليوم الأول لاحتلال العراق - في إبريل سنة ٢٠٠٣م وبقيام المقاومة السنية للغزو والاحتلال قام التنسيق الكامل والتعاون الدائم بين هذه المراجع الشيعية الكبرى ومعها الأحزاب الشيعية وبين سلطات الاحتلال لا ضد المقاومة السنية وحدها، وإنما أيضاً ضد المقاومة الشيعية التي أبداها في النجف التيار التشيع العربي - التيار الصدري - ضد جيوش الاحتلال حتى لقد ظهر التمايز في داخل الصف الشيعي بين ما يسمى «بالتشيع الصفوي» وبين «التشيع العربي».

ولقد شهدت مذكرات «بول بريمر» أول حاكم أمريكي للعراق المحتل على هذه العلاقات بين هذه المراجع الشيعية وبين الغزاة الأمريكان والتي كما قلنا مثلت أكبر زلزال أصاب العلاقات الشيعية السنية في الصميم.

* لقد مثل «بول بريمر» الذي حكم العراق المحتل ما بين ١٢ مايو سنة ٢٠٠٣ و ٢٨ يونيو ٢٠٠٤م «المندوب السامي الأمريكي في العراق المحتل» أو «ما كارثر بغداد» كما سماه البعض.

ولقد أنجز - خلال هذه الشهور الأربعة عشر - تدمير كل مقومات العراق المادية والبشرية.

* وفي مذكرته التي نشرها بعنوان «عام قضيته في العراق» والبالغة صفحاتها بالترجمة العربية التي قام بها عمر الأيوبي ونشرتها دار الكتاب العربي ببيروت سنة ٢٠٠٦م - ٤٩٦ صفحة - في هذه المذكرات تقف أمام العديد من الوقائع ذات الدلالات الخطيرة في موقف آية الله العظمى السيد علي السيستاني من الاحتلال الأمريكي للعراق.

١ - فالسيستاني - وهو أكبر المراجع الشيعية المعاصرين - لم يصدر فتوى بمقاومة الاحتلال للعراق المسلم كما صنع أسلافه مراجع الشيعة مع الإنجليز

سنة ١٩٩٢م وعلى العكس من ذلك - رفض الصدر مثل هذه الفتوى حتى عندما طلبها منه الرئيس السورى بشار الأسد.

ولقد كتب بريمر - فى مذكراته ص ٢٥٤:

«لقد أدهلنى موفق الربيعى بمعلومة اخرى، فقد أخبره السفير السورى بأن الرئيس السورى بشار الأسد بعث برسالة سرية يقترح أن يصدر به فتوى تدعو إلى الجهاد ضد الائتلاف» [أى الاحتلال].

فرجل لم يمتنع فقط - عن الإفتاء بمقاومة الاحتلال وإنما «نلع» بريمر بفحوى الرسالة السرية للرئيس السورى بشار الأسد!!

٢ - ولقد كتب بريمر - ص ٧٥:

«إن القادة الشيعة بمن فيهم آية الله العظمى السيستانى، قد شجعوا أتباعهم على التعاون مع الائتلاف منذ التحرير»!!

٣ - وعندما شد موقف السيد الصدرى - المعبر عن التشيع العربى - عن هذا الموقف - موقف التشيع الصفوى المتحالف مع الغزو والاحتلال. تعاونت المرجعية الشيعية ومجلس الحكم - لدى أقدم بريمر بالاتفاق مع المرجعية ضد التيار الصدرى.. وكتب بريمر - فى مذكراته ص ٤٠ يقول:

«تلقيت تحذيرا من مجلس الحكم بأن مقتدى الصدر يستعد لإصدار فتوى أثناء صلاة الجمعة يدعو فيها إلى الجهاد ضد قوات التحالف وأن أنصاره يحاولون إثارة الفوضى فى كركوك».

ثم يعود بريمر ليتحدث عن موقف السيستانى من التيار الصدرى إبان انتفاضة الصدر بكربلاء، واعتزامه إنشاء حكومة فى ١ اكتوبر سنة ٢٠٠٣م - فيقول ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٠ ، ٢٤٥.

«إن آيـــة الله يخشى التهديد الذى يشكله مقتدى ، وإن الخيار المفضل للسيستانى هو أن لا يبقى مقتدى و فترضت بذلك أن يريد أن يقتل الشاب.

وعلما أن السيستاني أرسل ٢ مسلح إلى كربلاء لمواجهة قوات مقتدى وأفيد عن أن بعض مقاتلي السيستاني أعضاء في ميليشيات المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق - فيلق بدر. وعبر الوسطاء سألت آية الله السيستاني عن رأيه في إجراء محادثات مباشرة مع مقتدى؟ فجاء رده سريعا وواضحا: نحن لا نعرف سبب التفاوض مع مقتدى أو فائدة ذلك»

ولقد انتهى الأمر بترك مقتدى الصدر وتياره لقوات الاحتلال وميليشيات بدر، فتم «تأديب» مقتدى وأنصاره بينما السيستاني يقوم برحلة علاج في لندن.

٤ - وفي البرهنة على موقف السيستاني من الاحتلال وتعاونه مع بريمر لتحقيق «الأهداف المشتركة» نطالع في مذكرات بريمر

أ - في ص ٢٧٩ مكالمة هاتفية من وزير الخارجية الأمريكي «كولن باول» مع بريمر يقول فيها: **«عليك أن تحصل على مباركة السيستاني أرسل أحدهم إلى النجف أو توجه إليه بنفسك إذا دعت الضرورة لا يمكن أن أطلب من حكومتي المصادقة على مسار بدون بعض الضمانات بأن النجف (السيستاني) موافق عليه»!**

ب - وحتى يتم التعاون بين السيستاني وسلطات الاحتلال دون إخلال بهيبة المرجعية أمام الجمهور - وخاصة التيار الصدري - تم الاتفاق، الذي كتب عنه بريمر ص ٥٢ فقال: «ولقد أبلغنا السيستاني بعد التحرير مباشرة ومن خلال قنواته الخاصة، أنه لن يقابل أحدا من التحالف ولذلك لم أطالب بعقد اجتماع شخصي معه.

وقال لي «هيوم» الذي يفهم العالم العربي جيدا - «إن السيستاني لا يمكن أن يقبل بأن يظهر علانية بأنه متعاون مع قوة احتلال، كما أنه يريد أن يحمي

جماعته من أجرين من أمثال مقتدى الصدر ولكنه سيعمل معنا، فنحن نشترك معه في الأهداف ذاتها».

جـ - ولقد استعمل بريمر ثلاث قنوات للاتصالات المنتظمة مع آية الله السيستاني

الأولى: عبر موفق الربيعي مستشار الأمن القومي في مجلس الحكم

الثانية: عبر آية الله حسن إسماعيل الصدر - المقرب من السيستاني

والثالثة: عبر عماد صدء الخرسان - وهو أمريكي الجنسية، عراقي الأصل، شيعي المذهب كان المسئول عن لجنة إعادة الإعمار الأمريكي للعراق وهو الذي قال لبريمر - قبل إحدى زياراته للسيستاني:

«إن آية الله العظمى معجب بك، ويحترمك، وهو يقدر الفرصة للعمل معك من أجل مستقبل العراق».

د - ولقد تحدث بريمر - في مذكراته ص ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٨ عن مراسلاته مع السيستاني فقال:

«وبينما كانت وسائل الإعلام العربية والأجنبية تتحدث عن الصلات المقطوعة بيني وبين السيستاني، فإنني كنت على اتصال مستمر معه حول القضايا الحيوية، من خلال الوسطاء.

وكان هيوم - [مراسل السفير و الخبير في الثقافة و اللغة العربية] محقا في تحليله، فقد أرسل لي السيستاني ذات يوم يقول: **إن عدم لقائه بنا ليس ناتجا عن عداء للتحالف، وإنما لأنه يعتقد أنه بذلك الموقف يمكن أن يكون اكثر فائدة لتحقيق أهدافنا المشتركة وبأنه سيفقد بعض مصداقيته لدى انصاره لو تعاون بشكل علني مع مسئولي التحالف، كما فعل بعض العلمانيين من الشيعة والسنة أو رجال دين شيعة ذوي مرتبة منخفضة.**

لقد تبادلت مع السيستاني الرسائل بشكل منتظم حول الوضع الأمني في النجف ولا سيما في أغسطس سنة ٢٠٠٣م حين أصبح مقتدى «الصدر» يمثل تهديدا لنا.

وخلال الفترة من يوليو إلى منتصف سبتمبر فقط تبادلت أكثر من عشرة رسائل مع السيستاني الذي عبر، غير مرة، عن امتنانه لقوات التحالف لما فعلته للشيعة والعراق..

ولقد بعثت رسالة تحذير إلى السيستاني، كما أرسلت بعض مساعدي للقاء كبير المسئولين الأمنيين في النجف لتقديم المساعدة لحمايته خلال احتفالات عاشوراء، حيث تزدحم المدينة بحوالي مليوني زائر «عندما قدم مسئول محطة الاستخبارات في وقت متأخر من يوم ٢٨ فبراير سنة ٢٠٠٣م وما وصفه بأدلة ذات مصداقية تقول إن الزرقاوي يخطط لاغتيال السيد السيستاني].

وفي يوم ٨ يونيو سنة ٢٠٠٤م اعتمد قرار مجلس الأمن ١٤٥٦ بالإجماع، وتضمن ترحيبا بالحكومة الانتقالية في العراق، باعتبارها تمثل مرحلة جديدة لانتقال العراق إلى حكومة منتخبة بشكل ديمقراطي، بالإضافة إلى تأييد صريح للجدول الزمني المنصوص عليه في قانون الإدارة المؤقت ولتنظيم الانتخابات في ٣١ يناير سنة ٢٠٠٥م وأرفق القرار برسائل من «إياد» علاوي والوزير «كولن» باول تحدد دور قوات التحالف متعددة الجنسيات [وهو القرار الذي قنن الاحتلال الأمريكي للعراق].

وبعد ظهر ذات اليوم أتى ضياء [عماد ضياء الخرسا] برسالة أكثر تعبيرا عن الرضا من آية الله السيستاني وبدا أنه كان «مسرورا» بما آلت إليه الأمور في العتبات المقدسة، وبالحكومة الجديدة، ورئيس الوزراء ولكون قرار الأمم المتحدة لم يذكر صراحة قانون الإدارة المؤقت، وأيد موعد تنظيم الانتخابات في

سبتمبر سنة ٢٠٠٥م وختم رسالته بقوله: «إن حواري مع السفير بريمر خلال العام الماضي كان مفيدا للغاية وآمل أن يستمر هذا».

«ورغم أن آية الله كان رافضا للاحتلال وسلطات الاحتلال فإنني تبادلت معه طيلة الشهور الأربعة عشر الماضية ما يزيد عن ٣٠ رسالة عبر وسطاء عديدين، وهي رسائل اعتبرها من ناحيتي أيضا «مفيدة جدا».

* * *

هكذا تحدث «بريمر» المندوب السامي الأمريكي في العراق المحتل الذي قاد تدمير العراق - الدولة بجميع مؤسساتها من الجيش إلى شرطي المرور - وتدمير كل مقومات الحياة بالنسبة للشعب العراقي - هكذا تحدث عن «التحالف» و«التعاون» مع أكبر مرجع الشيعة ومع الأحزاب الشيعية ذات التوجه الإيراني.

ولقد علق مكتب آية الله السيستاني على ما أورده بريمر في مذكراته هذه عن العلاقات والمراسلات بينه وبين السيستاني فنشر ما ذكره بريمر من وجود قنوات الاتصال وإن كان قد نفى وجود رسائل «مكتوبة» وعلى وجه الدقة تساءل لماذا لم ينشر بريمر إذا كانت في حوزته؟!

لقد جاء في «تعقيب» مكتب السيستاني المنشور على موقع سماحته «منتدى الفكر العراقي في ١٤ شوال سنة ١٤٢٧هـ ٧ نوفمبر سنة ٢٠٠٦م]

«وإن سماحة السيد دام ظله بحكم موقعه ومسئوليته في رعاية الأمة كان لا يزال يستقبل كافة الشخصيات العراقية - السياسية والدينية والثقافية والعشائرية وغيرهم يستمع إلى وجهات أنظارهم واستفساراتهم ويستمعون إلى رؤاه وتوجيهاته.

وكان في عداد زواره خلال المدة التي حكم العراق فيها السفير بريمر أعضاء من مجلس الحكم ومجلس الإعمار وسائر المسئولين في الحكومة العراقية، ومن

هؤلاء من كان يصل إلى سماحته موقف وآراء وتصورات سلطة الاحتلال وممثله بريمر، بتكليف منه أو من تلقاء نفسه، وكان سماحته يعلق على ما يسمعه منهم في كل القضايا التي لها مساس بالمصالح العليا للشعب العراقي، كقضية الدستور والانتخابات وقانون إدارة الدولة وتشكيل الحكومة المؤقتة وغيرها.

ولم يكن هناك (رسائل متبادلة) بين المرجعية الدينية وبين بريمر ولو كان قد بقي من سماحة السيد دام ظله رسالة واحدة لكان ينبغي له أن ينشرها بنصها في كتابه توثيقا لما ادعاه»

* * *

تلك هي وقائع العلاقة بين المرجعية الدينية العظمى وبين بريمر يمثل هو لاكثر لقرن الواحد والعشرين في بعدد - كما ذكره بريمر في مذكراته [عدم قضيته في العراق].

إن آية الله السيستاني لم يكن - ولا يمكن أن يكون - عميلا لأمريكا وإنما استعان الرجل بالاحتلال الأمريكي لتحكم الشيعة العراق. أو تحكم معظمه بعد تفتيته بالفيدرالية.

وإن أمريكا لم تكن في خدمة السيستاني وإنما استعانت به - وبالأحزاب الشيعية الموالية لمرجعيته - على احتلال العراق..

لقد جمعت «المصالح التكتيكية» بين الطرفين - فكان الزلزال الذي أصاب العلاقات الشيعية السنية في الصميم وإن بقيت التمايزات والاختلافات حول «المصالح الاستراتيجية» لدى كل طرف من الأطراف.

لقد اعتبرت المرجعية الشيعية العظمى السيستاني الاحتلال الأمريكي للعراق تحريرا لبلاد الرافدين وذلك على الرغم من أن العراق - قبل الاحتلال

* كانت أكثر من ثلث شكانه . . . ٢ (مليونى أسرة) متزوجين زواجا مختلطا يجمع بين السنة والشيعة.

* كان أكثر من نصف الجيش العراقى - الذى سرحه بريمر - من الشيعة.

* وكان ثلثا رؤساء الفروع الحزبية بحزب البعث الحاكم - من الشيعة.

* حتى أن نسبة كبيرة من القيادات البعثية التى اختفت عند الاحتلال والتى رصدت أمريكا المبالغ الطائلة لمن يرشد عنها، كانت من الشيعة أيضاً.

* لكن الاحتلال الأمريكى قد استعان بالأحزاب الشيعية التى تكونت فى إيران - والتى تدربت ميليشياتها وتسلحت فى إيران بل والتى حاربت لحساب إيران ضد العراق لثمانى سنوات [١٩٨٠ - ١٩٨٨م] أى ضد الجيش العراقى ذى الأغلبية الشيعية! استعان الاحتلال «بالتشيع الصفوى» ومرجعيته العظمى ضد أهل السنة وضد «التشيع العربى» - لتبرير تدمير العراق وتفتيته باعتبار هذا القصد هو المحقق لمخططات الفرقاء المختلفين: أمريكا والصهيونية وإيران!!

فكان الزلزال الأشد الذى أصاب العلاقات الشيعية السنية على أرض العراق - وخارج أرض العراق

* * *

* لكن الذى يستطع هذا المخطط تحقيقه هو قمع المقاومة العراقية لجيوش الاحتلال. ولقد كتب بريمر فى مذكراته ص ٥٧ «وعبرت فى كتابى للرئيس «بوش» عن إزاء عجزنا عن خلق بيئة آمنة فقد أثبتت المجموعات المتمردة أنها أكثر تنظيما، وأن خنادقها أصعب مما كنا نتوقع. لقد استطاع الإرهابيون [هكذا يسمى المقاومة] - أن يحولوا العراق إلى الخط الإمامى لحربهم الشيطانية»!

وصدق الله العظيم: [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] [الأنفال ٣]

* كذلك سعت هذه المراجع إلى تمزيق النسيج الوطني للشعب العراقي وذلك بإحلال «الفصل المذهبي» محل الوحدة الوطنية فجمهور غفير من أبناء الشعب العراقي - شيعة وسنة - قد تجاوز «الفصل المذهبي» إما بالاستنارة والتسامح أو للعلاقات القبلية والعشائرية، فقامت المصاهرات والزيجات المشتركة الشيعية السنية بين ثلث أبناء الشعب العراقي وبناته مليوني أسرة فإذا بهذه المراجع تفتي بأن هذا الزواج المختلط إنما «يغضب الله» الأمر الذي «هدد أكثر من مليوني أسرة عراقية قائمة على الزواج المختلط بين السنة والشيعة - وهو ما يمثل نحو ثلث عدد أسر المجتمع العراقي» بالدمار الأمر الذي أسهم في زيادة التوتر الطائفي، والفصل المذهبي، والقتل والتهجير على أسس مذهبية وطائفية وأحدث ما يشبه «غسيل الدماغ» عند البعض بل ودفع العديد من الأطفال - في هذه الأسر المشتركة والمختلطة - إلى محاولات الانتحار للحيلولة دون الانهيارات الأسرية التي دعت إليها فتاوى هذه المراجع المتعاونة مع الأمريكان»[1]

فالاحتلال بواسطة ما يسمى «بالعملية السياسية» يقين في الدستور الذي أشرف «بول بريمر» على وضعه لتمزيق وحدة الأرض العراقية بما يسمى «بالفيدرالية» والمراجع الشيعية المتعاونة مع الاحتلال تبارك ذلك وتفعله على أرض الواقع بإقامة «الفصل المذهبي» بين أبناء الشعب العراقي

١- انظر ما نشرته صحيفة «الأهرام» المصرية ٤/١٠/١١ ٦/٢م في صفحتها الأولى تحت عنوان «طلاق ثلث العراقيين بحاشية لغضب الله» وذلك نقلا عن «الشبكة الاتحادية الإقليمية للأبناء الإيرين» التابعة للأمم المتحدة والتي نقلت ذلك عن «جمعية السلام للعراقيين» وهي إحدى الجمعيات الأهلية بالعراق

* كذلك علينا أن ندرك - ونعي - أن ما يشهده العراق اليوم - عبارة عن المرجع - هو التنفيذ لمخطط «إمبريالي صهيوني» قديم، رسمه - لكل العالم الإسلامي - وأعلن عنه المستشرق الصهيوني «برنارد لويس BERNARD IEWIS ونشرته مجلة وزارة الدفاع الأمريكية - البنتاجون INTELLIGENCE RESEARCHPROJECT عند قيام إسرائيل في أربعينيات القرن العشرين - وفي هذا المخطط التفتيتي للعالم الإسلامي دعا «برنارد لويس» إلى إعادة رسم خريطة المنطقة بتقسيم الإسلام - من باكستان إلى المغرب - وإنشاء اثنين وثلاثين «كانتون سياسي» جديد، على أسس دينية ومذهبية وعرقية وقبلية.

«إن الصورة الجغرافية الحالية للمنطقة لا تعكس حقيقة الصراع وإن ما هو على السطح يتناقض مع ما هو في العمق:

على السطح كيانات سياسية لدول مستقلة، ولكن في العمق هناك أقليات لا تعتبر نفسها ممثلة في هذه الدول، بل ولا تعتبر أن هذه الدول تعبر عن الحد الأدنى من تطلعاتها الخاصة.

ويرى الإسرائيليون أن جميع هذه الكيانات لن تكون فقط غير قادرة على أن تتحد، بل سوف تشلها خلافات لا انتهاء لها على مسائل حدود وطرقات ومياه ونفط وزواج ووراثة.. إلخ.

ونظرا لأن كل كيان من هذه الكيانات سيكون أضعف من إسرائيل، فإن هذه ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل».

وفي تطبيق هذا المخطط على العراق، قالت المنظمة الصهيونية العالمية في [ستراتيجية إسرائيل في الثمانينيات] التي نشرتها مجلتها «الاتجاه» «كيفونيم» KIVUNIM في عدد ١٤ نوفمبر سنة ١٩٨٢م

«إن العراق الغني بالنفط.. هو المرشح المضمون لتحقيق أهداف إسرائيل. إن تفتيت العراق هو أكثر أهمية من تفتيت سوريا.. فالعراق أقوى من سوريا

وقوته تشكل فى المدى القصير خطراً على إسرائيل أكثر من أى خطر آخر.. هكذا تقوم ثلاث دول «أو أكثر» حول المدن العراقية الرئيسية: البصرة وبغداد والموصل، إذ تنفصل مناطق شيعية فى الجنوب عن الوسط السنى، والشمال الكردى وإنه فى العصر النووى - لا يمكن ضمان بقاء إسرائيل إلا بمثل هذا التفكيك، ويجب من الآن فصاعدا بعثرة السكان، وهذا واقع استراتيجى وإذا لم يحدث ذلك فليس باستطاعتنا البقاء مهما كانت الحدود.»[1].

هذا هو المخطط الصهيونى المرسوم والمنشور - قبل سنتين عاما - ولدى تنفيذه العزاء الأمريكان - اليوم - على أرض العراق بالتعاون مع الأحزاب الشيعية ذات الولاءات الإيرانية وبمباركة عدد من كبار المرجعيات الشيعية..

* * *

وإذا كان البعض من السلفية الوهابية يتخذ من هذه المأساة منطلقا لتأكيد على مذهبه فى تكفير الشيعة و استحلال دمائهم. فإننا نرفض هذا العنف التكفيرى. وذلك التعميم والإطلاق ونرى أن هذه المأساة يجب أن تكون دافعا لتضافر الجهود الفكرية و العلمية والسياسية لحوار شيعى سنى يبحث عن جوهر الخلاف وعن سبل التقريب بين الشيعة والسنة فهى ذلك طوق النجاة من هذه المأساة . والتحصين الحقيقى لجدار الأمة ضد الاختراق و لضمان كى لا تتكرر هذه المأساه فى أى مكان آخر من عالم الإسلام وأيضا لتسديد الضفى لإخراج العراق من «العار والدمار الذى صنعته به هذه المأساه».

إن الأزهار كثيرا ما تنبت فى أرض المجازر!

وإن الشروق الساطع لا يأتى إلا بعد ظلام الليل البهيم.

١- انظر محمد عمارة [الاقليات بين العروبة و الإسلام] ص ١٣١ - ١٣٣ ، ١٤ ، ١٤٤ طبعة بيروت سنة ١٩٩٨م وانظر كتاب [الإسلام و التعددية، ص ٢٥٧ ٢٧٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧م

وإن الأمم العظيمة هى التى تبحث عن معدنها النفيس فى مواجهة أشرس التحديات.

* وعليك أن تلح دائما وأبدا على الالتزام بالمنهاج القرآنى. منهاج{لَيْسُوا سَوَاءً} [آل عمران: ١١٣]

فالشيعة ليسو سواء..

والسنة ليسوا سواء..

وكذلك حال غير المسلمين مع المسلمين فهم ليسوا سواء..

وفى موجهة المراجع والأحزاب الذين تواطئوا مع «الصليبية الصهيونية» وتعاونوا مع «بول بريمر» عليك أن تبنى وخاصة فى المجال العلمى والفكرى - جبهة الوحدة الإسلامية ضد أعداء الإسلام والمسلمين تلك الجبهة التى لن تقوم لها قائمة إلا بتحقيق التقارب الحقيقى بين الشيعة والسنة الأمر الذى بدر به الدكتور أحمد الكاتب جهوده الفكرية والعلمية فستحق منا التقدير والتأييد والترحيب بدعوته الفكرية الداعية إلى بناء التقارب بين الشيعة والسنة على أسس فكرية صلبة وموضوعية تستبعد الغلو من كلا الطرفين .. وتدعو المخلصين من الشيعة والسنة، إلى كلمة سواء.

* * *

قضايا الخلاف

في الحديث عن العلاقة بين الشيعة والسنة علينا أن نتحلى بالموضوعية والشجاعة والصراحة التي تجعلنا نعلن.

أن الخلاف بينهما قد مثل - ولا يزال يمثل «أعمق وأعقد وأخطر الخلافات التي حدثت بين المسلمين على امتداد تاريخ الإسلام».

وإذا كان التاريخ الإسلامي قد شهد خلافات فكرية وسياسية عميقة ومعقدة بين عدد من الفرق الإسلامية - كالخلاف بين الخوارج وبين أهل السنة والاختلاف بين المعتزلة وبين الأشعرية والماتريدية - ثم تجاوز انتظور هذه الاختلافات فإن الخلاف بين الشيعة والسنة قد تميز بأمرين جعلاه أعقد وأعمق من سائر تلك الاختلافات التي مرت بين سائر فرق المسلمين

الأمر الأول: هو ذهاب الشيعة إلى وضع أساس الخلاف - نظرية الإمامة - بين العقائد الدينية ومبادىء الاعتقاد وأصوله وثوابته أي جعلها ثابتة من ثوابت الاعتقاد الديني وليست مجرد «فكر» - «اجتهاد» إنساني تجري عليه سنن التجديد والتطوير والتغيير.

والأمر الثاني: هو تميز الحياة السياسة والاجتماعية الشيعية بتحويل مفردات هذا الخلاف ومروياته وتراثه وتاريخه وأدبياته إلى «منهج تربوي» تصطبغ به العقول والوجدانات وتشحن به الذكريات منذ الولادة وحتى مراسم الدفن والعزاء على النحو الذي يجعل الإنسان الشيعي مشحونا بكم من نقاط الافتراق وأسباب العداء لمن تصورهم أعداء آل البيت «المغتصبين» المغتصبين لحقهم الإلهي في الإمامة. تجددها الذكريات والمناسبات والزيارات التي لا

يخلو منها وقت من الأوقات. هذه الشحنات الدينية والنفسية والعاطفية ضد أهل السنة، الذين يصنعهم هذا المنهاج التربوي في سلة واحدة، منذ أبي بكر الصديق [٥١ ق هـ - ١٣ هـ ٥٧٣ - ٦٣٤م] وجمهور الصحابة وحتى كاتب هذه الصفحات!

نعم «إننا أمام أعقد وأعمق خلاف حدث في تاريخ الأمة الإسلامية».

وفي التقريب الحقيقي بين الشيعة والسنة، نجد أنفسنا أمام مهمة كبرى إن تكن مستحيلة فإنها من أصعب المهام التي تواجه العقل المسلم - الشيعي والسني - وذلك إذا التزمنا أمانة العلم والعلماء ولم تجرفنا أساليب الساسة والإعلاميين!

* * *

* ولأن الأخ الكريم الدكتور أحمد الكاتب هو من أكثر علماء الشيعة غيرة على وحدة الأمة الإسلامية وموضوعية في نقد الموروث الفكرية - الشيعية والسنية - «وفي مقدمة الذين حددوا نقاط الخلاف بين الفريقين - وقدموا الحلول الموضوعية لتجاوز هذا الخلاف المزمن وتأسيس التقريب على أسس موضوعية.

لذلك كله كانت سعادتي دائمة وغامرة عندما أقرأ له - وعندما أقدم بعمل فكري من أعماله المتميزة، التي تكرسها لنقد الموروث الفكري - والدفع بالعقل المسلم - عند الشيعة والسنة إلى ساحة الإخاء والتقريب.

* لقد رصد الدكتور أحمد الكاتب - في هذا الكتاب [السنة والشيعة: وحدة الدين - خلاف السياسة والتاريخ] - ست قضايا خلافية أراها - وأنا معه تماما - هي التي باعدت بين الشيعة والسنة منذ تبلور الشيعة كفرقة - أو كفرق - وحتى الآن. وهذه القضايا الخلافية هي:

١ – الخلاف في الإمامة:

عندما جعلها أهل السنة من السياسات والمفهومات و لفروع تختارها الأمة التي هي مصدر لسلطات السياسة – بالشورى و لاختيار والبيعة . ثم ترقب الأمة الإمام وتحاسبه. وتعزله عند الاقتضاء بينما رأتها الشيعة «إمامة إلهية» وشأن معصوم يعين الله – سبحانه وتعالى – فيها الأئمة بالنص و لوصية . فهو الذي اصطفاهم اصطفى الأنبياء والمرسلين، وجعل لهم من «العصمة» والمكانة و لسلطان ما يعلو على مكانة لملائكة لمقربين و لأنبياء والمرسلين ومن ثم فإن الإيمان بهذه «الإمامة الإلهية» هو عقيدة دينية، ودعامة من لدعائم لثوابت لدين وليست اجتهادا بشريا يتطرق إليه التجديد والاجتهاد والتغيير.

٢ – والخلاف الثاني حول القرآن الكريم:

وهو خلاف ابتدعه علماء لشيعة لإمامية عندما لم يجدوا في لمصحف المعتمد لدى لأمة الإسلامية منذ عصر لنبوة – ما يشهد لنظريتهم في «الإمامة الإلهية» المحصورة في أئمتهم من آل البيت فقد تكفلوا «بالتأويل» لبعض لآيات وإذا قالوا بتحريف «لتنزيل» لقرآني تحريف أسقط – في رأي بعضهم – ثلثي القرآن الكريم!

لكن المدرسة الأصولية الشيعية عند لإثني عشرية – قد حاولت – في القرن التاسع عشر الميلادي – قصر حدوث تحريف في «التنزيل» ووقفت في تأييد نظرية الإمامة الإلهية عند «التأويل».

وقد نشر بطهران كتاب [أكذوبة تحريف لقرآن بين الشيعة والسنة] سنة ١٩٨٥م لشيخ رسول جعفريان يحمل هذه المرجعة لدعاوى تحريف لقرآن الكريم ولقد رحبت بهذه المراجعة، وقمت بإعادة طبع الكتاب مع التقديم له – بالقاهرة سنة ٦ – ٢م.

٣ - والخلاف الثالث حول الحديث النبوي الشريف

الذي أخذه أهل السنة والجماعة عن رسول الله ﷺ عبر الرواة بينما أخذه الشيعة عن الأئمة لأنهم - في رأيهم - هم وحدهم المعصومون المؤتمنون على الشريعة والقيمون حتى على القرآن. أما الأمة - بمن في ذلك الرواة فيجوز عليهم الضلال والكفر والردة والفسوق.

٤ - والخلاف الرابع حول التقية.

أي إظهار الإنسان غير ما يبطن. ولقد جعلها الشيعة دينا يتدينون به ورووا عن أحد أئمتهم: «أن التقية ديني ودين آبائي .. ولا دين لمن لا تقية له».

ولقد استشهدوا على جواز التقية بالآية القرآنية [لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير. قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير] [آل عمران: ٢٨ ، ٢٩].

بينما قال أهل السنة والجماعة - انطلاقا من منطوق الآية القرآنية - إنها لا تجوز إلا عند ضرورة حفظ النفس في الصراع مع الكافرين - وليس في العلاقات بين المؤمنين - ويشهد لذلك - أيضا تطبيقها في حال عمار بن ياسر (٥٧٠ ق هـ - ٣٧ هـ ٥٦٧ - ٦٥٧م) عندما نطق بكلمة الكفر إنقاذ النفسه من الهلاك أثناء تعذيبهم له. [إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون. من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين] [النحل: ١٠٥ - ١٠٧].

أما التقية خارج هذا الإطار، فإنها - بنظر أهل السنة والجماعة - استحلال للكذب، تزداد بشاعته عندما يعدها أهلها دينا يتدينون به - وعندما تمارس في التعامل بين المؤمنين بدين واحد.

٥ - والخلاف الخامس في الفقه

ولأن الفقه - عند الشيعة والسنة - هو علم الفروع، كان هذا الميدان من ميادين الخلاف هنا، لأن باب الاجتهاد فيه مفتوح لمناقشة القضايا الخلافية من مثل نكاح المتعة وزيادة الشيعة في الأذان «حي على خير العمل» و «أشهد أن عليا ولي الله» والجمع الدائم لصلاة العصر مع الظهر وصلاة العشاء مع المغرب - والحديث عن أن «العتبات المقدسة» الشيعية هي «الأشرف» بأفعل التفضيل - على حين أن الحرمين - المكي والمدني - كل منهما «شريف» فقط لا غير! وتسمية المساجد «حسينيات» بدلا من اسمها القرآني - المساجد - ووضع أعداد من الأدعية والقنوت في الصلوات لتغاير صلوات أهل السنة والجماعة. واستخدام عبارة مثل «باسمه تعالى» بدلا من «بسم الله الرحمن الرحيم» و «صدق الله العلي العظيم» بدلا من «صدق الله العظيم» إلى آخر هذه الاختلافات الفقهية التي هي في معظمها ثانوية وهيئة وإن لعبت دورا سلبيا في تصوير الإسلام الشيعي - لدى العامة - وكأنه «إسلام موازي» لإسلام أهل السنة والجماعة. الأمر الذي جعل فقهاء الشيعة لا يأخذون شيئا عن فقه المذاهب السنية بينما فتح فقهاء السنة الأبواب لاحتضان كل تراث المذاهب الفقهية الإسلامية وأجاز عدد من كبار علمائهم التعبد على أي من المذاهب الفقهية المعتبرة والمدونة أصولها ضمن تراث الفقه الإسلامي العام.

لقد أصدرت مصر موسوعتها الفقهية على المذاهب الثمانية - المالكي والحنفي - والشافعي والحنبلي والجعفري والزيدي والإباضي والظاهري.. بينما نص دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية على أن المذهب

الجعفري وحده هو مذهب إيران كلها - فمن فقه من السنة بل ونص هذا الدستور على أن جميع مواده قابلة للتعديل باستثناء هذه المادة التي تحدد مذهب الدولة!

٦ والخلاف السادس بين الشيعة والسنة هو الذي دار حول صحابة رسول الله ﷺ

فقد انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وعدد الذين دخلوا في دين الإسلام ١٢٤ (مائة وأربعة وعشرين ألفا) - في جزيرة العرب التي كان عدد سكانها يومئذ مليون نسمة.

وعندما رصد علماء أهل السنة والجماعة أسماء «أعلام الصحابة» الذين تربوا في مدرسة النبوة والذين أقاموا الدين، وأسسوا الدولة ووضعوا أسس الحضارة والذين فتحوا في ثلاثين عاما أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون، فأزالوا بهذه الفتوحات التحريرية قوى الهيمنة والقهر الحضاري - الروم والفرس - ثم حرروا صغار شعوب الشرق - فتركوهم ومن يدينون - بعد أن حرروا بلادهم من القهر الاستعماري والديني والحضاري ومن اللهب الاقتصادي الذي دام عشرة قرون من «الاسكندر الأكبر» [٣٥٦ - ٣٢٣ق م في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى «هرقل» [٦١ - ٦٤١م] في القرن السابع للميلاد.

عندما رصد علماء أهل السنة والجماعة أسماء «أعلام الصحابة» الذين أقاموا الدين وحموا شريعته ورووا السنة وعبروا وحدوا الدنيا وفتحوا الربع رصدوا أسماء نحو ثمانية آلاف صحابي - منهم أكثر من ألف امرأة

لكن الشيعة ذهبوا فحكموا على جمهور هؤلاء بالكفر والردة والفسق والخروج من دين الإسلام ولم يستثنوا من هذه الأحكام الخاطئة والعنيفة

ولعجيبة سوى أربعة أو خمسة أو أكثر قليلا ثم ذهبوا فعمموا هذه الأحكام على كل من والى أو أحب أحدا من هؤلاء الصحابة. أي أنهم قد سحبوا هذه الأحكام على سائر أهل السنة والجماعة الذين يمثلون ٩٠٪ من تعداد أمة الإسلام.

* * *

تلك هي القضية الخلافية الست التي رصدها الدكتور أحمد الكاتب في كتابه والتي بعدت بين الشيعة والسنة، والتي جعلت الخلاف يبدو أخطر وأعقد وأعمق خلاف ظهر في تاريخ الإسلام والمسلمين

* * *

منهاج النظر الخلافات

ولأن المنهاج العلمي في النظر إلى القضايا الخلافية يهدف لمحاصرتها ومعالجتها والتقريب بين فرقائها، يدعو إلى تحديد «الحلقة الرئيسة» من بين «حلقات» الاختلافات والتركيز على سبل حل هذا الخلاف الرئيسي لأنه هو الذي سيؤثر - بدرجات متفاوتة - في حل بقية الخلافات لأن هذا هو المنهج العلمي في معالجة مجمل هذه الخلافات الستة. فإننا ندعو إلى التركيز على «الخلاف الأساسي» و «القضية الأم» التي أثمرت سائر الاختلافات الأخرى، والتي سيفضي حل الخلاف حولها - وحتى تقريب وجهات النظر - إلى حل سائر الاختلافات الستة التي رصدها الدكتور أحمد الكاتب في هذا الكتاب.

وهذه القضية الأم التي مثلت - ولا تزال تمثل «الخلاف الأم» و الأساسي، الأول والجوهري و «المحوري» بين الشيعة والسنة، هي قضية الخلاف حول «نظرية الإمامة»

الإمامة عند أهل السنة

لقد أجمع أهل السنة واجمعوا على أن الإمامة من السياسات والفقهيات والفروع وعلى أنها ليست من العقائد ولا من أمهات العقائد، وأنها شأن من شئون الاجتهاد الفقهي يتولاها من تختاره الأمة - بوسيلة أولى الأمر فيها بالشورى والاختيار - فتبايعه الأمة. ثم تراقبه وتحاسبه وتعزله عند الاقتضاء، ومن ثم - وهذا هام وجوهري - معيار فاصل بين الاختلاف في الإمامة وحولها وبسببها إنما يدخل جميعه في الفقه والفروع ومعيار هذا الاختلاف هي «الصواب والخطأ» و «النفع والضرر» وليس «الكفر والإيمان» - الذي هو معيار الاختلاف في عقائد الدين.

على هذا أجمع أهل السنة والجماعة، وجمعت مذاهب فقهائهم وعلمائهم وفلاسفتهم على مر تاريخهم الفكري فقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١م]

«إن نظرية الإمامة ليست من المهمات وليست من فن المعقولات فيها، بل من الفقهيات [الفروع][1]».

وقال إمام الحرمين الجويني [٤١٩ - ٤٧٨ هـ ١٠٢٨ - ١٠٨٥م]

«إن الكلام في الإمامة ليس من أصول الاعتقاد»[2]

وقال عضد الدين الايجي [٧٥٦ هـ ١٣٥٥م] والجرجاني [٧٤٠ - ٨١٦ هـ ١٣٤٠ - ١٤١٣م]

---

١ - الغزالي «الاقتصاد في الاعتقاد» ص ١٣٤ طبعة مكتبة صبيح - القاهرة بدون تاريخ

٢ - الجويني [الارشاد] ط ١ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م

«إن الإمامة ليست من أصول الديانات والعقائد ، بل هي من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين»[1].

وقال الشهرستاني [٤٧٩ - ٥٤٨هـ ١٠٨٦ - ١١٥٣م].

«إن الإمامة ليست من أصول الاعتقاد»[2].

وقال ابن خلدون [٧٣٢ - ٨٠٨هـ ١٣٣٢ - ١٤٠٦م]:

«وشبهة الشيعة الإمامية في ذلك إنما هي كون الإمامة من أركان الدين.. وليس كذلك، وإنما هي من المصالح المفوضة إلى نظر الخلق»[3]

وهذا إجماع السنّي على أن الإمامة من السياسات والفقهيات والفروع، وليست من العقائد وأنها الاعتقاد وأركان الدين قد أثمر الثمرة الطبيعية والمنطقية التي تقول إن الخلاف حول الإمامة وما يتعلق بها معاييره «الصواب والخطأ» و «النفع والضرر» وليست «الإيمان» و «الكفر» ويعبّره أبو حامد الغزالي:

«فإن النظريات قسمان: قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع. والخطأ في أصل الإمامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها، لا يوجب شيء منه التكفير»[4]

ولذلك وهذا هو حد الفرق بين أهل السنة والجماعة، مع تشددهم المذهب الشيعي في الإمامة فإنهم لا يكفرونهم بمذهبهم هذا إنهم يعتبرون مذهب الشيعة في الإمامة قولاً شيعياً وظاهر البطلان لكن لأن هذه الإمامة هي

---

١ - «شرح المواقف» جـ٨ ص ٣٦١ طبعة القاهرة ١٣١١ هـ.

٢- الشهرستاني [نهاية الإقدام في علم الكلام] ص ٤٧٨ تحقيق الفريد جيوم طبعة مصورة - بدون تاريخ ولا مكان الطبع.

٣ - ابن خلدون [المقدمة] ص ١٦٨ طبعة القاهرة ١٣٢٢هـ.

٤ - الغزالي [فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة] ص ١٥ طبعة القاهرة ١٩٠٧م.

من الفروع والسياسات والتفقهات وليست من عقائد الدين فمن الخلاف حول «لا يعظم ضرره في الدين» ومن ثم فلا يجوز ... التكفير ويعبارة حجة الإسلام الغزالي

«فإن ما لا يعظم ضرره في الدين فالأمر فيه أسهل وإن كان القول فيه شنيعا ظاهر البطلان، كقول الإمامية المنتظرة: إن الإمام مختف في سرداب فإنه ينتظر خروجه ، فإنه قول كاذب، ظاهر البطلان، شنيع جدا، ولكن لا ضرر فيه على الدين، وإنما الضرر على الأحمق المعتقد لذلك، إذ يخرج كل يوم من بلده لاستقبال الإمام حتى يدخل «الليل» فيرجع إلى بيته خاسئ وهذا مثال - والمقصود: أنه لا ينبغي أن يكفر بكل هذيان وإن كان ظاهر البطلان ..» [1]

وهذا الموقف السني الشديد الوضوح والحسم، في أن الإمامة من السياسات والفروع والتفقهات وليست من العقائد الدينية ومن ثم فإنه لا يجوز ولا يصح التكفير لأي من المختلفين فيها وحولها هذا الموقف السني المؤسس على ما اجتمع عليه أهل السنة والجماعة في مذاهبهم المعتبرة من الامتناع عن تكفير من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، المصدق لما جاء به الرسول ﷺ

وفي تعقيد هذا المذهب يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي

«إعلم إن شرح ما يكفر به وما لا يكفر به يستدعي تفصيلا طويلا.. ولكن اقنع [الآن] بوصية وقانون:

أما الوصية: فأن تكفّ لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله ﷺ، غير متناقضين لها. والمناقضة تجويز هم الكذب على رسول الله ﷺ بعذر أو غير عذر، فإن التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه.

---

١ - المصدر السابق، ص ١٩

وأما القانون: فهو أن تعلم أن النظريات قسمان: قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع، وأصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله، وبرسوله واليوم الآخر وما عداه فروع.

وأعلم أن لا تكفير في الفروع أصلا، إلا في مسألة واحدة وهي أن ينكر أصلا دينيا علم من الرسول ﷺ بالتواتر لكن في بعضها تخطئه، كما في الفقهيات وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالإمامة وأحوال الصحابة.

واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيء منه تكفير فقد أنكر ابن كيسان [١٤٠ هـ ٧٥٧م] أصل وجوب الإمامة، ولا يلزم تكفيره، ولا تلتفت إلى قوم يعظمون أن الإمامة ويجعلون الإيمان بالإمام مقرونا بالإيمان بالله ورسوله ولا إلى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم في الإمامة، فكل ذلك اسراف.. إذ ليس في واحد من القولين تكذيب للرسول ﷺ أصلا ومتى وجد التكذيب وجب التكفير وإن كان من الفروع»[١]

وهنا قد يقول قائل إن الغزالي يشير إلى أن من «خصوم الشيعة الإمامية» من يكفرهم - أي يبادلهم تكفير بتكفير - بسبب مذهبهم في الإمامة الذي جعلوه مقرونا بالإيمان بالله ورسوله ومن ثم كفروا من يخالفهم فيه»

ونحن نقول نعم هناك فئة من أهل السنة والجماعة لا يمثلون المذاهب السنية والمعتبرة والمنتشرة في الأقطار السنية بادلوا الشيعة الإمامية تكفيرا بتكفير. «وإن كنا نلمح أن سبب هذا التكفير لهؤلاء الشيعة ليس الغلو الشيعي في تأليه الأئمة وإنما هي التقية، التي تجيز الكذب، بل توجبه أحيانا وتجعله دينا «لأن من يجيز الكذب في أمور الدين، إنما يلقى ظلالا سلبية على حقيقة إعلانه التصديق بما جاء به الرسول ﷺ ويشهد على هذا الذي ذهبنا إليه قوله شيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨م]:

---

١ - المصدر السابق، ص ١٥، ١٦

«والذي نختاره أن لا نكفر أحدا من أهل القبلة والدليل عليه أن نقول:

المسائل التي اختلف أهل القبلة فيها، مثل: أن الله تعالى هل هو عالم بالعلم أو بالذات؟ وأنه تعالى هل هو موجد الأفعال العباد أو لا؟ وأنه هو متحيز؟ وهل هو في مكان وجهة؟ وهل هو مرئي أم لا؟ لا تخلو إما أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقف والأول باطل، إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان الواجب على النبي ﷺ أن يطالبهم بهذه المسائل، بل ما جرى حديث من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، علمنا أنه لا تتوقف صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول وإذا كانت كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الإسلام، وذلك يقتضي الامتناع عن تكفير أهل القبلة».

فابن تيمية الذي يؤمن بأن الإمامة من الفروع والفقهيات وليست من الأصول - يذهب إلى تفصيل ما أشار إليه كثيرون من أئمة أهل السنة والجماعة من أن هناك «أصولا» دينية «لا تتوقف صحة الإسلام على معرفتها» ومن ثم فإن «الخطأ في مثل هذه الأصول لا يقدح في حقيقة الإسلام، وذلك يقتضي الامتناع عن التكفير» لأطراف الخلاف في هذه «الأصول».

ثم يمضي ابن تيمية إلى تأصيل وتقعيد هذا المعيار فيقول

«إن الكفر حكم شرعي، متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرا في الشرع، وكما أنه ليس كل ما كان صوابا في العقل يجب في الشرع معرفته. وإنما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه.. وقد نقل عن الشافعي [١٥٠ - ٢٠٤هـ ٧٦٧ - ٨٢٠م] رضي الله عنه أنه قال: لا أرد شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية فإنهم يعتقدون حل الكذب.

أما أبو حنيفة [٨٠ - ١٥٠ هـ ٦٩٩ - ٧٦٧م] - رضى الله تعالى عنه - فقد حكى الحاكم [٣٣٤ هـ ٩٤٥م] صاحب [المختصر] فى كتاب [المنتقى] عن أبى حنيفة أنه لا يكفّر أحدا من أهل القبلة «وحكى أبو بكر الرازى [٢٥١ - ٣١١ هـ ٨٦٥ - ٩٢٣ م] عن الكرخى [٢٦٠ - ٣٤٠ هـ ٨٧٤ - ٩٥٢م] وغيره مثل ذلك»[1].

فابن تيمية يحكى عن أئمة المذاهب الفقهية السنية اجتماعهم على عدم تكفير أحد من أهل القبلة باستثناء من يعتقد استحلال الكذب - مثل الخطابية من الشيعة الإمامية - الذين غلوا فى الأئمة إلى حد التأليه. ومع ذلك فإن تكفير الشافعى لهم قد جاء بسبب استحلالهم الكذب - التقية - لأن هذا هو الذى يقدح فى حقيقة إسلامهم، وليس بسبب مذهبهم فى الإمامة، لأنه - رغم شناعته وظهور بطلانه - لا ضرر فيه على الدين - على حد قول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى.

ذلك هو مذهب أهل السنة والجماعة فى نظرية الإمامة أولى المسائل، وأعقد المسائل، وأخطر المسائل التى اختلف فيها المسلمون.. والتى بسببها انقسمت الأمة الإسلامية إلى شيعة وسنة «فكان الخلاف الذى أثمر وأقرر الاختلافات الأخرى حول القرآن والسنة» والتقية والفقه والصحابة.

فالذين ذهبوا من الشيعة إلى أن القرآن الكريم قد أصابه التحريف إنما ذهبوا إلى ذلك لدعم مذهبهم فى الإمامة الإلهية لأئمتهم من آل البيت.

وهم قد ذهبوا إلى إقامة سنة خاصة بهم، نسبوها إلى أئمتهم لتشهد على صحة مذهبهم فى الإمامة، وعلى فساد مذهب أهل السنة، والجماعة فيها.

---

١ - ابن تيمية [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول]، جـ ١ ص ٥ - ١٤٤ - ١٤٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ.

وذهبوا إلى استحلال تقية وجعلها دينا ليستحلوا الكذب على خصومهم في نظرية الإمامة وليحافظوا على كيانهم في مواجهة من عسر وهم كفار ومشركين بسبب مخالفتهم لهم في هذه الإمامة»

وهم قد ذهبوا إلى تكفير جمهور الصحابة، وكان من ولاهم ورضي بخلافتهم، لا لشيء، إلا لأن هؤلاء الصحابة برأيهم قد خالفوا مذهبهم في الإمامة عندما جعلوها شورى، تتم بالاختيار والبيعة، وقالوا بأنها سلطة مدنية ملتزمة بالمرجعية الدينية والأمة فيها هي مصدر السلطات لأنها هي المستخلفة لله ولم يجعلوها إمامة إلهية تتولى الأئمة فيها سلطان الله حتى لتكون لهم المكانة التي لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل. والتي تجعل لهم سلطة تكوينية على كل ذرات الكون هي كل سلطات الله وسلطانه!

فهي إذن هذه «الإمامة الإلهية» هي موطن الخلاف الأول والأعمق والأعقد والذي يجب أن يدور حوله الحوار الموضوعي والجاد والصبور. والذي بدون حدوث نوع من التوافق حوله سيظل الحديث عن التقريب بين الشيعة والسنة لونا من «الحرث في البحر» وضربا من الأوهام التي لا تجوز على العلماء ولا تليق بالعقلاء.

* * *

الإمامة عند الشيعة الإمامية

وإذا كانت هذه هي وجهة نظر أهل السنة والجماعة في القضايا الخلافية بين الشيعة والسنة وفي ترتيب هذه القضايا وتحديد «الحلقة الرئيسية» التي تقضي حلها أو تقريب وجهات النظر فيها إلى التأثير في بقية «الحلقات»

فما هو رأي الشيعة الإمامية - وخاصة الإثني عشرية - في هذا الموضوع؟

لقد ذهبت الشيعة الإمامية - بمن في ذلك الإثني عشرية - إلى جعل الإمامة شأناً إلهياً لا علاقة له بالبشر والأمة فهي اصطفاء إلهي ونص وتعيين من السماء، لا علاقة لها بالشورى والاختيار والبيعة

وذهبوا إلى إعطاء الأئمة - من آل البيت من نسل علي وفاطمة - سلطاناً إلهياً، يجعل إمامتهم فوق النبوة والرسالة والأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين».

وجعلوا هذه الإمامة «لطفاً عاماً» وممتداً بينما النبوة والرسالة «لطف خاص» طوى التاريخ صفحته

وذهبوا فأضفوا على أئمتهم ليس فقط (العصمة) وإنما الأساطير التي تحار العقل أمام قبولها من قبل العلماء والفلاسفة والفقهاء الذين امتلأ بهم ويمتلئ الفضاء الشيعي!

ذهب الشيعة إلى ذلك التأليه للإمامة والتأدية للأئمة .. وإلى ذلك الغلو الذي لا يقف عند «الإخباريين القدماء» الذين سبقوا المدرسة «الأصولية الاجتهادية» وإنما الذي بعثته وباللغرابة - المدرسة الشيعية الحديثة والمعاصرة

التي تبلورت في القرن التاسع عشر الميلادي، والتي لا تزال سائدة وحاكمة ومتحكمة في القضاء الشيعي ولدى المرجعيات الشيعية الكبرى حتى هذه اللحظات!

* لقد ابتدع الشيعة في الفكر الإسلامي - نظرية «الحكم بالحق الإلهي» - التي سادت في الكسروية الفارسية و«الفرعونية المصرية» والقيصرية الرومانية.. والكنيسة الكاثوليكية فالإمام معين من الله، لا مختاراً من الناس.. بل لقد ادعوا لعرقه وسلالته امتيازا ليس لأحد من الناس فنسبوا إلى علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قوله:

«إنني وأهل بيتي كنا نورا يسعى بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف سنة، فلما خلق الله آدم وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثم جعله في السفينة في صلب نوح، ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلها في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة من الآباء والأمهات لم يلق منهم على سفاح قط»[1]

* ثم يقولون: إن التعيين والنص كان من الله - سبحانه وتعالى - على علي، وليس من الرسول ﷺ ويرون أن رجلا سأل الإمام أبا جعفر محمد بن علي زين العابدين [٣٨ - ٩٤هـ ٦٥٨ - ٧١٢م].

«حدثني عن ولاية علي، آمن الله؟ أو من الرسول؟.. فغضب، ثم قال:

- ويحك: كان رسول الله أخوف لله من أن يقول مالم يأمره به الله، بل افترضه كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج، فرض الله على العباد خمسا، فأخذوا أربعا وتركوا واحدا الصلاة».. ثم نزلت الزكاة.. ثم نزل

---

١ - عبد الحسين أحمد الأميني: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، جـ ١ ص ١٦٤، طبعة بيروت - الثالثة.

٢ - الكليني: الأصول من الكافي، جـ ١ ص ٣٩، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طبعة طهران سنة ١٣٨٨ هـ.

الصوم.. ثم نزل الحج.. ثم نزلت الولاية..»[2]

* وهذا النص الإلهي والنص النبوي قد سخفهما الله - سبحانه وتعالى كما يقولون - في لوح أخضر، شبيه الزمرد، بحروف بيضاء «شفافة كالشمس» رآه أبو جابر عبد الله الأنصاري في يد فاطمة عليها السلام، فلما سألها عنه قالت:

«هذا لوح أهداه الله إلى رسوله، فيه اسم أبي، واسم بعلي، واسم بنيّ، واسم الأوصياء من ولدي»[1] «ولم ينزل من الله كتاب مختوم إلا الوصية..»[2].

* وما كانت الصلة التي ميزت عليا والحسن والحسين من غيرهم من آل أبي طالب، بل وعن غير الحسن والحسين من ولد علي هي الارتباط بفاطمة بنت الرسول ﷺ قالت الشيعة الإمامية إن الله هو الذي غير هذه الرواج، روح على من فاطمة، وقالوا:

«أنه لا خلاف بين أهل النقل أن الله تعالى هو الذي اختار أمير المؤمنين لنكاح سيدة النساء.. وأن النبي قال: إني لم أزوج فاطمة حتى زوجها الله تعالى من سمائه..»[3].

* وقالوا إن سلطان الإمام السياسي مترتب على سلطانه الإلهي، إذ الأصل فيه أن يكون إماما حتى لو لم يتمكن من تولي السلطة الزمنية، ومن ثم فإن إمامته تابعة من كونه حافظا للشريعة والدين، حجة الله على عباده فالإمامة ليست الحجة، والروايات المتواترة لا تصلح لشرع أن يكون بها حجة، بل والقرآن ذاته ليس هو الحجة، وإنما الحجة هو الإمام، وهم يفسرون القول الذي

---

١ - المصدر السابق جـ ١ ص ٨.

٢ - المصدر السابق، جـ ١ ص ٢٧٩

٣ - الطوسي أبو جعفر «تلخيص الشافي» جـ ١ ق ٢ ص ٢٧٩ تحقيق السيد حسن بحر العلوم طبعة النجف سنة ١٣٨٣ هـ سنة ١٩٦٤م

نسبوه إلى علي بن أبي طالب

«اللهم إنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك»[1]

يفسرون الحجة بالإمام وحده فينسبون إلى الإمام جعفر الصادق [٨ - ١٤٨ هـ ٦٩٩ - ٧٦٥م] قوله:

«إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حي يعرف»[2] وأنه لابد من إمام حتى «لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام.. وأن آخر من يموت الإمام لئلا يحتج أحد على الله عز وجل أنه تركه بغير حجة لله عليه..»[3].

* وهم - لذلك - يرفضون أن تكون الأمة، في نقلها عن الرسول - الذي هو حجة الله - حجة في هذا النقل، لأنهم يحورون على الأمة جمعيها الخطأ والرين بل والكفر والردة ما عدا الإمام فضلا عن أسهو وليس ويقولون.

إن نقل الأمة لبيان الرسول «ليس بضروري، وأنه غير مأمون منهم العدول عنه»[4] لأنه لا فرق عندهم بين الآحاد وبين مجموع الأمة وجماعتها.

بل ورفضوا أن يكون القرآن هو الحجة وقالوا لابد من قيم على القرآن وأن الإمام علي بن أبي طالب هو ذلك القيم، ومن بعده الأوصياء، ولأئمة من بنيه وينسبون إلى جعفر الصادق ذلك الحوار الذي دار بينه وبين الناس

«قلت للناس، تعلمون أن رسول الله كان هو الحجة من الله على خلقه؟

قالوا: بلى.

قلت فحين رضي رسول الله من كان الحجة على خلقه؟

---

١ - [الكافي] جـ ١ ص ١٧٨

٢ - المصدر السابق، جـ ١ ص ١٧٧

٣ - المصدر السابق، جـ ١ ص ١٨٠

٤ - [تلخيص الشافي] جـ ٢ ص ١٨٦.

فقالوا: القرآن.

فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدري، والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، فما قال فيه من شيء كان حقا.. فأشهد أن عليا كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله، وأن ما قال في القرآن فهو حق..»[1].

ولذلك كان الإمام عند الشيعة الإمامية هو مصدر الدين بل هو مصدره الوحيد فقالوا «إنك تعتقد أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تُستقى إلا من مأمنهم - [الأئمة] ولا يصح أخذها إلا منهم، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم، ولا يطمئن بينه وبين الله إلى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم..»[2].

وهم في قولهم إن الإمام هو القيم على القرآن، قد قدموا الإمام على القرآن، وجعلوه هو الأساس، فالإمام هو «القائم بالفعل» بينما القرآن هو «القائم بالقوة» وفي ذلك يقول الكرماني

«إن مثل الناطق في كونه أصلا للدين كمثل المبدع الأول في كونه أصلا للموجودات وعن الناطق، الذي هو أصل عالم الدين من جهة التركيب، وجد الإمام القائم بالفعل، وهو الأساس، وعن الناطق أيضا وجد الإمام القائم بالقوة، وهو الكتاب..»[3]

* وبذلك، فإن الشيعة الإمامية جعلت الإمامة على النبوة والإمام على النبي وقالوا:

---

١ - [الكافي] جـ ١ ص ١٦٨، ١٦٩

٢ - نقلا عن (محمد رضا) [عقائد الإمامية] ص ٧ - طبعة دار النعمان - النجف

٣- الكرماني أحمد حميد الدين، راحة العقل ص ٣٩ تحقيق د. محمد كامل حسين، د. محمد مصطفى حلمي طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م.

إن عليا قد قال: «لقد أقرت لى جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما اقروا به لمحمد، ولقد حملت مثل حمولته، وهى حمولة الرب[1] يعنى كلفنى الله ربى مثل ما كلف محمدا من أعباء التبليغ والهداية.. التى وردت من الله»[2].

وهم ينسبون رواية هذه الأقوال - التى تؤله الأئمة - إلى الإمام جعفر الصادق. كما ينسبون له قوله:

إن عليا «قد جرى له من الفضل ما جرى لرسول الله.. والمعيب عليه فى شىء من أحكامه كالمعيب على الله ورسوله، والراد عليه فى صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله .. فهو باب الله الذى لا يؤتى إلا منه، وسبيله الذى من سلك بغيره هلك، وبذلك جرت الأئمة واحدا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم، والحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.»[3].

* وقالت الشيعة الإمامية:

«إن دفع الإمامة كفر، كما أن دفع النبوة كفر، لأن الجهل بهما على حد واحد.. لأن منطلق الإمامة هو منطلق النبوة، والهدف الذى لأجله وجبت النبوة هو نفس الهدف الذى من أجله تجب الإمامة، وكما أن النبوة لطف من الله كذلك الإمامة، واللحظة الحاسمة التى انبثقت بها النبوة.. وهى يوم الدار - [عند ما جمع النبى عشيرته ودعاهم للإسلام] - هى نفسها اللحظة التى انبثقت بها الإمامة.. واستمرت الدعوة ذات لسانين النبوة والإمامة، فى خط واحد، وامتازت الإمامة على النبوة: أنها استمرت بأداء الرسالة بعد انتهاء دور النبوة.. إن النبوة لطف خاص، والإمامة لطف عام..»[4].

١- [الكافى] جـ ١ ص ١٩٦.

٢- المصدر السابق «وهامش يفسر العبارة السابقة» نفس الصفحة.

٣- المصدر السابق، جـ ١ ص ٢٩٧.

٤- تلخيص [الشافى] جـ ٤ ص ١٣١ - ١٣٢ وانظر كذلك مجموع من كلام السيد المرتضى جمعه المرتضى على بن الحسين - مخطوط مصور بدار الكتب بتصريح - رقم ١٥٩ عقائد تيمور - لوحة ٦٣

* كذلك تقول الشيعة الإمامية بحور ظهور المعجزات على يد الإمام كما هو حال الأنبياء، لأن في ذلك دليل تعيينه، كما هو الحال مع الأنبياء سواء بسواء[1].

* وإذا كان للشيعة الإمامية قد قدسوا عصمة الإمام على عصمة النبي فإن مذهبهم في علم الإمام قد بلغ في العلو مرتبة جعلتهم يرون الإمام أكثر علما من النبي، بل ومن كل الأنبياء مجتمعين، بل إن مذهبهم هذا يعني في الواقع والحقيقة أن النبوة، في معناها الجوهري، الذي هو صلة السماء الدائمة بالأرض، لم تختم بموت محمد ﷺ، بل لا تزال هذه الصلة - قائمة في شخص الإمام.

فالرسول يتلقى علم ما لم يعلم عن السماء بواسطة الوحي الذي يأتيه به ملك، يراه حينا ولا يراه حينا آخر. والشيعة يرون أن الفارق بين «التحديث» وبين «الوحي» أن الإمام لا يرى الملك وإنما هو يسمع الصوت، وتحدث له السكينة التي تجعله يطمئن إلى أن ما سمعه هو صوت الملك. فكل من الإمام والنبي - عندهم - يأتيه علم السماء بواسطة «روح القدس» الذي به حمل النبي النبوة، والتي تنتقل بعد النبي إلى الإمام.

وهم ينسبون إلى الإمام جعفر الصادق قوله:

«إن الإمام إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك[2] وهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات عن طريق النبي أو الإمام قبله، وإذا استجد شيء لابد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطأ فيه.. وإن قوة الإلهام عند الإمام، التي تسمى بالقوة القدسية، تبلغ الكمال في أعلى درجاته، فيكون في صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقي المعلومات في كل

١- [تلخيص الشافي] جـ ٢ ق ١ ص ١٤١ - ١٤٣ مجموع من كلام السيد المرتضى بتوجيه ٩

٢- [الكافي] جـ ١ ص ٢٥٧.

وقت وفى كل حالة، فمتى توجه إلى شىء من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه بتلك القوة القدسية الإلهية، بلا توقف ولا ترتيب مقدمات، ولا تلقين بعلم، وتتجلى فى نفسه المعلومات كما تتجلى المرئيات فى المرآة الصافية، لاغطش فيها ولا إبهام.. ويبدو واضحا هذا فى تاريخ الأئمة، لم يشربوا على أحد، ولم يتعلموا على يد معلم، من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد، حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم أنه دخل الكتاتيب أو تتلمذ على يد أستاذ فى شىء من الأشياء، مع مالهم من منزلة علمية لا تجارى وما سئلوا عن شىء إلا أجابوا عليه فى وقته، ولم تمر على ألسنتهم كلمة (لا أدرى) ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة أو التأمل ونحو ذلك[1].

أى أن علم الإمام - برأى الشيعة - قد يفوق على علم النبى، لأنه كان يسأل فيتوقف حتى يأتيه نبأ السماء فيما لم يعرف له جواب.

وهذه القوة القدسية التى يراها الشيعة مصدر العلم الإلهى الإلهامى للإمام، هى التى كانت مصدر علم النبوة للأنبياء. ويستند فى ذلك - إلى الإمام جعفر الصادق قوله:

«إن الله جعل فى النبى خمسة أرواح:

روح الحياة، فبه دب ودرج.

وروح القوة، فبه نهض وجاهد.

وروح الشهوة، فبه أكل وشرب، وأتى النساء من الحلال.

وروح الإيمان، فبه آمن وعدل.

وروح القدس، فبه حمل النبوة. فإذا قبض النبى انتقل روح القدس فصار إلى

١- [عقائد الإمامية] ص ٧٦ ٦٩

الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يذهو ، و لأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به..» [1]

بل لقد ذهبوا إلى أن علم الإمام يربو على علم النبي وعلى علم الأنبياء جميعا مجتمعين. ويستند إلى الإمام زين العابدين قوله

«.. إن الله عز وجل جمع لمحمد سنن النبيين من آدم وهلم جرا إلى محمد.. وإن رسول الله صير ذلك كله عند أمير المؤمنين. » [2] لدى عدم ما سنجد بعد سنن جميع النبيين!.

وقد تحدثوا عن أن للإمام لقدرة على معرفة الغيب و المحجوب، وذلك بواسطة ما أسموه «اسم الله الأعظم» ويشيرون إلى أن بعلم الذي أوتيه «آصف» الذي كان عنده علم من الكتاب أحضر به عرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام - هو ثمرة لحرف واحد من حروف الاسم الأعظم . بينما عند الإمام اثنان وسبعون حرف من حروف هذا الاسم الثلاثة والسبعين! وفي ذلك يستند إلى الإمام زين العابدين قوله:

«إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف واحد عند الله استأثر به في علم الغيب عنده» [3]

---

١ [الكافي] جـ ١ ص ٢٧٢

٢- المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٢ ٢٢٣.

٣ المصدر السابق جـ ١ ص ٢٣

هكذا بلغ «الغلو = الخرافى» و «الخرافة = المغالبة» بالشيعة الإمامية ومنهم الإثنى عشرية - فى علم الإمام - وعصمته قبل الإمامة وبعدها - وفى السلطان الإلهى.

وهنا من الحق أن نسأل:

إذا كان للإمام اثنان وسبعون حرفا من ثلاثة وسبعين هى حروف اسم الله الأعظم - فلم الحاجة إلى التقية التى جعلها الشيعة دينا يتدينون به؟ ومم يخافون مع هذا العلم، وهذه القوة - وهذا السلطان؟، ثم - ألا يتعارض هذا الذى قالوه عن علم الإمام، واستمرار الوحى إليه بواسطة روح القدس - مع ما نسبوه هم للإمام على بن أبى طالب - فى [نهج البلاغة] من أنه عندما انتقل رسول الله - ﷺ إلى الرفيق الأعلى - وتولى الإمام على أمر غسله وتجهيزه كى يوارى مثواه الأخير - قد خاطبه - وهو يتولى غسله فقال:

«بأبى أنت وأمى يا رسول الله! لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء»[1].

إن هذه الكلمات الجامعة للإمام على تنقض كل الذى قالت به الشيعة عن استمرار علاقة السماء بالأئمة، مما سبقت الإشارة إلى بعضه فيما تقدم من صفحات.

* * *

* ولقد رتبت الشيعة الإمامية على هذا السلطان الدينى المطلق للأئمة - الذين اختارهم الله منذ ما قبل خلق آدم - وجعلهم الأوصياء المعيدين بالأمر الإلهى، وراء فى أقدارهم على أقدار الأنبياء والمرسلين - وجعلهم الحجة الحافظة للدين - رتب الشيعة على هذا السلطان الدينى المطلق للأئمة سلطانا دنيويا مطلقا.

---

١ - نهج البلاغة، ص ٢٨٠ طبعة دار الشعب القاهرة

وإذا كان للأئمة - في هذه النظرية الإلهية للإمامة - سلطة تكوينية على كل ذرات الكون، وإذا كان الله قد فوض إليهم الخلق والرزق، فإن لهم هذه الأرض التي يعيش عليها الناس بكل ما حوت من الأموال والثروات.

وفي ذلك، يروون عن بعض رجالاتهم - أيام جعفر الصادق - قوله «إن الدنيا كلها للإمام على جهة الملك، وأنه أولى بها من الذين هي في أيديهم»

وينسبون إلى رسول الله ﷺ حديثا يروونه عن أبي جعفر محمد بن علي زين العابدين - يقول فيه الرسول:

«خلق الله آدم وأقطعه الدنيا قطيعة، فما كان لآدم فلرسول الله، وما كان لرسول الله فهو للأئمة من آل محمد..»

ويروون عن جعفر الصادق قوله:

«إن جبريل كرى - [أي استحدث] خمسة أنهار: الفرات ودجلة، ونيل مصر، ومران، ونهر بلخ، فما سقت أو سقي منها فللإمام، والبحر المطيف بالدنيا للإمام..»[1]

كما ينسبون إليه رده على من قال: إن للأئمة خمس الأموال، إذ قال الإمام جعفر:

«أو ما لنا من الأرض وما أخرج الله منها إلا الخمس؟! .. إن الأرض كلها لنا، فما أخرج الله منها من شيء فهو لنا.. وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون حتى يقوم قائمنا فيجيبهم طسق [وظيفة من الخراج] ما كان في أيديهم، وأمام ما كان في أيدي غيرهم فإن كسبهم من الأرض حرام عليهم حتى يقوم قائمنا فيأخذ الأرض من أيديهم ويخرجهم صفرة..»[2]

١- [الكافي] جـ ص ٩ ٤

٢- المصدر السابق جـ ١ ص ٨ ٤ و صفرة بفتح الصاد وسكون الفاء من معانيها المرة، والجوعة أي أخرجهم مرة واحدة أو جوعى

فليس للناس - من الأرض وما فيها - إلا ما أكلو ومراد على ذلك فالإمام وهم يستندون في تقرير ذلك كلام للإمامة علي، رووه عن الإمام زين العابدين يقول فيه:

«إن الأرض كلها لنا، فمن أحيا أرضا من المسلمين فليعمرها، وليؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها.. حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف، فيحوبها ويمنعها، ويخرجهم منها.. إلا ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم على ما في أيديهم ويترك الأرض في أيديهم»[1]

فنحن أمام نظرية متكاملة في الإلهية الإمامة وتأليه لأئمة فالله هو الذي اختارهم وعينهم وأوصى بهم .. وهو الذي فوض إليهم سلطانه عا في ذلك الخلق والرزق - كما جعلهم القيمين على القرآن، بل والمقدمين عليه وجعل سلطانهم دوم من سلطان النبوة والرسالة كما جعل لهم الأرض كلها

وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد قال في قرآنه الكريم [والأرض وضعها للأنام] الرحمن . فإن الشيعة الإماميه قد قالوا و الأرض وضعها للإمام!

* ولقد جعلت الشيعه الإمامية عن في ذلك الاثني عشرية - هذه النظرية في «الإمامة الإلهية» وتأليه الأئمة عقيدة دينية، من أمهات الاعتقاد التي «لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها»[2] بل جعلوها أدخل في أصول الدين وأوكد في أركانه من معرفة الله، وعدله ونبوة نبيه، وذلك عندما جعلوا «قواعد الإيمان - بما فيه الإسلام خمسة.

١ - المعرفة: بما فيها الصفات الثبوتية والسلبية.

٢ - التصديق: بالعدل والحكمة.

١- المصدر السابق. جـ ١ ص ٧ ٤ ، ٨ ٤.

٢- [عقائد الإمامية] ص ٦٥

٣ – التصديق: بنبوة محمد، وجميع ما جاء به.

٤ – التصديق: بإمامة الأئمة الإثنى عشر، وما جاءوا به.

٥ – التصديق: بالمعاد الجسمانى.

ثم جعلوا القواعد «الثلاثة الأولى خاصة بالإسلام، والأخيرين من امتياز الإيمان»[1] هكذا بلغ العلو بالشيعة الإمامية إلى هذا الحد حد إلهية الإمامة. وتأليه الأئمة على هذا النحو الذى أشرنا إلى معالمه من مصادرهم الأصلية والمعتمدة – منذ نشأتهم وحتى هذه اللحظات.

* * *

وفى هذا الكتاب، الذى نقدم بين يديه، والذى كتبه العالم الشيعى الحجة الدكتور أحمد الكاتب، اعتراف صريح بصدق هذا الذى عرضناه.

ففى المبحث الثانى من الفصل الأول – فى الباب الأول – حول [عقيدة الإمامة الإلهية] يتحدث الدكتور أحمد الكاتب عن أن هذه النظرية الشيعية فى الإمامة قد طرأت على الفكر الإسلامى عند الشيعة – ولم تكن موجودة فى القرون الإسلامية الأولى فيقول:

«وفى تلك الأيام الأولى لنشوء المذاهب، لم يكن موضوع الإمامة أو الخلافة يعتبر أصلا من أصول الدين، لأن القرآن الكريم لم يتحدث عنه بالتفصيل، ولكن مبادرة فريق من الشيعة، عُرف بالإمامية أو الرافضة، إلى القول – فى القرن الثانى الهجرى – بموضوع النص من النبى على الأمام على بالخلافة، وانحصار الحق بها فى البيت العلوى الحسينى، والاستدلال عليها بتأويلات معينة لبعض آيات القرآن الكريم أو الاستعانة على ذلك بأحاديث عامة أو

١- تلخيص الشافى جـ١ ق١ ص ٩١- هامش وكذلك ص ٥٩ ٦ انظر كذلك أبو حنيفة المغربى – النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد التميمى دعائم الإسلام، جـ١ ص ٢، ١٣ تحقيق آصف بن على أصغر فيضى طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م.

ضعيفة.. كل ذلك رفع موضوع الإمامة إلى مصاف العقيدة وجعل الموضوع جزءاً ملحقا بالنبوة وامتدادا لها.. وبعد رفع الشيعة موضوع الإمامة إلى مصاف العقيدة، كان لابد أن ينعكس ذلك على الموقف من غير المؤمنين بها تكفيرا وتفسيقا وتضليلا..»

هكذا شخص الدكتور أحمد الكاتب - في شجاعة وموضوعية وإخلاص - نشأة المشكلة، التي قسمت الأمة الإسلامية. عندما رفع الشيعة مقدمتهم في الإمامة من الفروع والفقهيات إلى «مصاف العقيدة وجعلوا موضوعها ملحقا بالنبوة وامتدادا لها» فعدت إمامة إلهية وليست خلافة سياسية وأصبح الأئمة - في هذه الإمامة الإلهية - مفوضين عن الله في القيام بكل سلطان الله - مما في ذلك الخلق والرزق - بدلا من أن يكونوا مستخلفين عن الأمة، المستخلفة لله - كما هو الحال في فكر أهل السنة والجماعة

ومن ثم - وبعد أن عدت هذه الإمامة هي العقيدة الأم من عقائد الدين - أصبح الإيمان وقفا على المؤمنين بها. والكفر حكما على المخالفين فيها.

لقد انعكس موقف الشيعة الإمامية تجاه أهل السنة والجماعة بسبب هذا التحول المفصلي الذي حدث وطرأ في القرن الهجري الثاني فأصبح «تكفيراً وتفسيقا وتضليلا» بسبب هذه النظرية الشيعية في «الإمامة الإلهية».

أي أن موطن الخلل إنما جاء من رفع الشيعة موضوع الإمامة من «الفروع والسياسات والفقهيات» إلى مصاف «العقيدة الدينية» الأمر الذي رفع معايير الخلاف حولها - بين الشيعة وأنفسهم - من «الخطأ والصواب» في الاجتهادات إلى «الكفر والتفسيق والتضليل لهؤلاء المخالفين»!

* ويعترف الدكتور أحمد الكاتب - في حديثه عن [العلو والغلاة] عند قدماء الشيعة - والذين اشتهر منهم:

١ - عبد الله بن سبأ [٤ هـ ٦٦م] - في حياة الإمام علي بن أبي طالب [٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ ٦٠٠ - ٦٦١م]

٢ - وبيان بن سمعان النهدي - في زمن الإمام علي بن الحسين زين العابدين [٣٨ - ٩٤ هـ ٦٥٨ - ٧١٢م].

٣ - والمغيرة بن سعيد في زمن الإمام الباقر [٥٧ - ١١٤ هـ ٦٧٦ ٧٣٢م].

٤ - وحمزة بن عمارة البربري.

٥ - والحارث الشامي.

٦ - وعبد الله بن الحارث.

٧ - وأبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي - الذي قال إن جعفر الصادق [٨٠ - ١٤٨ هـ ٦٩٩ - ٧٦٥م] هو إله زمانه.

يعترف الدكتور أحمد الكاتب بأن «بعضا من أفكار هؤلاء الشيعة الغلاة مثل استمرار نزول الوحي بشكل أو بآخر، على الأئمة، ودعوى علمهم بالغيب، وإتيانهم بالمعاجز [المعجزات] كعلامة من علامات الإمامة الإلهية، ومهمة من مهماتها قد تسرب إلى الفكر الإمامي».

* ولد كانت «لمدرسة الأصولية الاجتهادية» الشيعية قد راجعت الكثير من المرويات التي قبلتها وروجتها «المدرسة الإخبارية الشيعية» فإن هذه المراجعة «التي ترعرعت في النجف وكربلاء في القرن التاسع عشر» لم تمتد باعتراف الدكتور أحمد الكاتب إلى حقل عقائد الغلاة والإخباريين في الإمامة الإلهية في تأليه الأئمة والارتفاع بهم فوق مرتبة الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين.

* نعم لقد راجعت المدرسة الأصولية الاجتهادية بعض القضايا التي تسهم مراجعتها في التقريب بين الشيعة والسنة. وفي مقدمة هذه القضايا دعاوى المدرسة الإخبارية الشيعية وقوع تحريف حدث للقرآن الكريم»

فكتاب [الأصول من الكافي] للكليني - والذي يناظر صحيح البخاري عند أهل السنة والجماعة تبلغ روايات الأحاديث الشيعية التي تزعم تحريف القرآن الكريم فيه درجة التواتر «لكن المدرسة الأصولية الاجتهادية الشيعية بدأت مراجعة درجات أحاديث الكافي. فخلصت إلى أن فيه الضعيف والمرسل وما لا يوافق القرآن. وإن أحاديثه البالغة ١٦١٩٩ حديثا لم يصح منها سوى ٥٠٧٢ - أي أقل من الثلث والحسن في أحاديث الكافي ١٤٤ حديثا والموثق ١١٢٨ حديثا والقوي ٣٠٢ حديثا. والضعيف ٩٤٨٠ حديثا أي أن ثلث أحاديث [الكافي] هي أحاديث ضعيفة»[1].

وبهذه المراجعة - من المدرسة الأصولية الاجتهادية - لأهم مصادر الحديث الشيعية التي مثلت ديوان الخلاف بين الشيعة والسنة، فتحت المدرسة الأصولية الاجتهادية بابا هاما من أبواب التقريب بين الشيعة والسنة - لم يستثمر فتحه الاستثمار الأمثل حتى الآن وإن كان قد أثمر مراجعة الموقف الشيعي الإخباري في دعاوى تحريف القرآن الكريم.

* * *

* لقد سبق وانطلقت المدرسة الإخبارية الشيعية من مرويات [الكافي] حول دعاوى تحريف القرآن الكريم، فطفحت مجلدات علمائها ومراجعها بهذه الدعاوى .. وفي ذلك:

١ - قال الشيخ المفيد محمد بن النعمان [٣٣٨ - ٤١٣ هـ ٩٥٠ - ١٠٢٢م]:

١- الشيخ رسول جعفريان [كذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة] ص ٧٩، ٨٠ تقديم د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م

«إن الخبر قد صح عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قد أمروا بقراءة الدفتين [أي القرآن الحالي] وأن لا تتعداه إلى زيادة فيه ولا إلى نقصان منه إلى أن يقوم القائم عليه السلام - [الإمام الغائب] فيقرىء الناس على ما أنزل الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

«وإن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الزيادة والنقصان»[2].

٢ - وقال الفيض الكاشاني [٤٨٤ هـ ١٠٩١م]:

«والمستفاد من جميع هذه الأخبار وغيرها من الروايات، من طريق أهل البيت عليهم السلام، أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمدﷺ وآله -بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو غير محرف، وأنه قد حذف عنه أشياء كثيرة منها: اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع، ومنها: لفظة آل محمد غير مرة، ومنها: أسماء المنافقين في مواضعها، وغير ذلك، وأنه ليس أيضا على الترتيب المرضي عند الله وعند رسولهﷺ وآله..»[3].

٣ - وقال نعمة الله الجزائري [١٠٥٠ - ١١١٢ هـ ١٦٤٤ - ١٧٠١م]:

«والأخبار المستفيضة، بل المتواترة دالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلا ما وإبعاضا»[4].

١- الشيخ المفيد [المسائل السروية] ص ٨٨، ٨٩

٢- الشيخ المفيد [أوائل المقالات] ص ٥٤، طبعة تبريز - إيران.

٣- الفيض الكاشاني [تفسير الصافي، المقدمة السادسة جـ ١ ص ٤٤ طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م

٤- نعمة الله الجزائري [الأنوار النعمانية جـ ٢ ص ٣٥٧ - طبعة تبريز - إيران.

٤ - وقال المجلسي - محمد باقر [٤١٨ - ٤ ٥ هـ ٢٧ ١ ١١١١م]

«لقد روى عن جعفر الصادق - عليه السلام - أنه قال: «إن القرآن الذي جاء به جبرئيل - عليه السلام - إلى محمد - ﷺ وآله - سبعة عشر ألف آية» .. «ولا يخفى أن هذا الخبر وكثيراً من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى..»[١].

٥ - وقال أبو الحسن العاملي المولى محمد طاهر القمي:

«اعلم أن الذي يظهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني - طاب ثراه - أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنه روى روايات كثيرة في هذا المعنى في كتابه [الكافي] الذي صرح في أوله بأنه كان يثق فيما رواه فيه، ولم يتعرض لقدح فيها، ولا ذكر معارض لها»[٢]

٦ - وقال المحدث الشيعي يوسف البحراني:

«ولا يخفى في هذه الأخبار من الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على ما احتمرناه ووضوح ما قلناه [من حدوث نقص وتحريف في القرآن] ولو تطرق الطعن إلى هذه الأخبار ، على كثرتها وانتشارها، لأمكن الطعن في أخبار الشيعة كلها كما لا يخفى، إذ الأصول واحدة، وكذا الطرق والرواة والمشايخ والنقلة. ولعمري إن القول بعدم التغيير والتبديل لا يخرج من حسن الظن بأئمة الجور وأنهم لم يخونوا في الأمانة الكبرى ، مع ظهور خيانتهم في الأمانة الأخرى التي هي أشد ضررا على الدين»[٣]

* * *

١- المجلسي «مرآة العقول» ج ١٢ ص ٥٢٥، ٥٢٦ طبعة دار الكتب الاسلامية طهران

٢- القمي [مرآة الأنوار] ص ٤٩ طبعة طهران سنة ١٣٧٤ هـ

٣- يوسف البحراني [الدرر النجفية] ص ٢٩٨ طبعة مؤسسة آل البيت.

هكذا وبعد أن صفحت كتب المدرسة الإخبارية بهذه الدعاوى والروايات عن تحريف القرآن رجعت المدرسة الأصولية الاجتهادية هذه الدعاوى ودعت إلى تجاوزها.

ففي كتاب صدر بطهران سنة ١٤٠٦ هـ سنة ١٩٨٥م للشيخ جعفر مرتضى العاملي عنوانه [أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة] تجد المرجعية الشيعية لدعاوى المدرسة الإخبارية تحريف القرآن الكريم واضحة وحاسمة ففيه:

١ - تفنيد وإنكار لوجود ما سمي «مصحف علي» ولدعوى أنه - كرم الله وجهه - قد جمع مصحفه هذا في ثلاثة أيام.

٢ - وفي هذا الكتاب نص على أن الإمام علي قد أيد جمع عثمان بن عفان [٤٧ ق هـ - ٣٥ هـ ٥٧٧ - ٦٥٦م] الأمة على المصحف الموحد، وقال «لو وليت لفعلت مثل الذي فعل» وأنه قد أحرق مصحفه، معلنا اجتماع الأمة على المصحف الإمام.

٣ - وفيه إنكار لدعاوى الإخباريين وجود ما سمي «بمصحف فاطمة» فلا وجود لهذا المصحف المزعوم. والروايات إذا كانت تتحدث في الغالب - عن «وصية» أو «علم» «ليس فيه قرآن».

٤ - وفي هذا الكتاب نصوص لعدد من أعلام علماء المدرسة الأصولية الاجتهادية تؤكد على الحفظ الإلهي للقرآن الكريم من التحريف

فبعد الأحاديث التي جمعها الإخباريون حول دعاوى تحريف القرآن والتي بلغت في [الكافي] درجة التواتر .. وبعد أن كتب مطولا حسين النوري [١٣٢٠هـ] الذي كان يوصف في أدبيات الإخباريين - «بالشيخ الأجل، ثقة الإسلام، حجية صناعة الحديث، وجامع أخبار الأئمة والعالم المتبحر، والمحدث الناقد البصير».. بعد أن كتب كتابه [فصل الخطاب في تحريف كتاب رب

الأرب] جاء علماء المدرسة الأصولية الاجتهادية ليمحو ويبطل دعوى التحريف هذه.

* فالعلامة الطباطبائي يقول عن القرآن الكريم

«إنه ذكر حي خالد مصون من أن يموت وينسى من أصله، مصون من الزيادة عليه بما يبطل كونه ذكرا، مصون من النقص كذلك، مصون من التغيير في صورته وسياقه بحيث تتغير به صفة كونه ذكراً الله مبينا لحقائق معارفه. فالآية [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] تدل على كون كتاب الله محفوظا بجميع آفتسمه.. فالقرآن محفوظ بعد إنزاله إلى الأبد»

* والسيد الخوئي [١٣١٧ - ١٤١٢ هـ ١٨٩٩ - ١٩٩٢م] يقول في تفسير نفس الآية

«إنها تدل على حفظ القرآن من التحريف، وأن الأيدي الجائرة لن تتمكن من التلاعب فيه»

* والفيض الكاشاني [١٠٩١هـ] يقول:

[إنا له لحافظون] من التحريف والتغيير والزيادة والنقصان»

* والشيخ أبو علي الطبرسي يقول في تفسير نفس الآية:

«[وإنا له لحافظون] عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغير».

ويروى عن الحسن: «معناه: تتكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه، فتنقله الأمة وتحفظه عصرا بعد عصر إلى يوم القيامة، لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ».

* والسيد المرتضى علي بن الحسين الموسوي [٤٣٦هـ] وهو طليعة المدرسة الأصولية الشيعية يقول:

«إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب بالمسطورة، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه. لقد كان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مجموعا مؤلفا على ما هو عليه في ذلك الزمان حتى عيّن النبي على جماعة من الصحابة حفظهم له، وكان يُعرض على النبي عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث ومن خالف في ذلك لا يعتد بخلافه، لأن المخالفين نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها، ولا يرجع بمثلها على المعلوم المقطوع بصحته»[1]

هكذا راجعت المدرسة الأصولية الاجتهادية الشيعية تراث المدرسة الاخبارية حول دعاوى تحريف القرآن الكريم.. كما فتحت الباب لنقد المرويات الحديثية التي جمعتها المدرسة الإخبارية.. ومنها كتاب الكليني [الأصول من الكافي].

* * *

لكن هذه المراجعة – مع الأسف والاستغراب – لم تقترب من تراث المدرسة الإخبارية في «نظرية الإمامة الإلهية» و «تأليه الأئمة» – وهي جوهر الخلاف بين الشيعة والسنة. فبقي الغلو الشيعي القديم في هذه القضية قائماً في الفضاء الشيعي الحديث والمعاصر!

بل إن مراجعة الأصوليين المجتهدين لدعاوى الإخبار بين حول تحريف القرآن – وهي الدعاوى التي نشأت لدعم نظرية الإمامة الإلهية وتأليه الأئمة – لم تظهر لها أية ثمرات في فكر الأصوليين حول هذه النظرية في الإمامة الإلهية فالأصوليون نفوا تحريف «التنزيل» واستمروا في استخدام «التأويل» للحفاظ على الغلو الشيعي القديم في فكرهم الحديث والمعاصر حول نظرية الإمامة. فظل هذا الغلو الشيعي «ثابتا» حتى هذه اللحظات.

١- المرجع السابق ص ٩١ – ٩٧ والكتاب يورد نصوصا وأسماء لقرابة الثلاثين من علماء الشيعة ينكرون حدوث أي تحريف في القرآن الكريم

ظاهرة الغلو الحديثة

تحت هذا العنوان، يقول الدكتور أحمد الكاتب:

«لقد شهد القرن التاسع عشر ظهور بعض من ينتمي إلى المدرسة الأصولية يميل إلى المنهج الإخباري الحشوي فيما يتعلق بنظرته إلى أئمة أهل البيت.. حيث أخذ بعض رجال الدين، يتلقف الروايات الضعيفة دون تمحيص أو نقد أو تأكد من مصادرها وأسانيدها، أو دراسة رجالها، ولذلك وقع في فتنة الغلو، وأخذ ينسب صفات الربوبية إلى أئمة أهل البيت، أو يدعي لهم مقامات عليا أو أدواراً فوق مستوى البشر، ومهمات من أعمال الله تعالى كإدارة الكون أو الخلق والرزق وما إلى ذلك، تحت غطاء نظرية (الولاية التكوينية) التي كان يقول بها المفوضة من قبل».

هكذا شهد الدكتور أحمد الكاتب - وهو العالم الخبير بالفكر الشيعي «والمخلص للحقيقة الفكرية والعلمية - بأن تيار الغلو في الفكر الشيعي، الذي ساد في المدرسة الإخبارية القديمة والذي ألّه الأئمة، قد عاد وساد في الفكر الشيعي الحديث والمعاصر».

ثم أخذ يضرب الأمثال على مراجع الشيعة الذين ساد فكرهم، ومثل غلوهم في نظرية «الإمامة» «ظاهرة الغلو الجديدة» هذه فقال:

«ويمكننا أن نأخذ أمثلة على ظاهرة الغلو الجديدة بعدد من المشايخ من أمثال:

* الشيخ محمد الوحيد الخراساني [١٣٤ هـ ١٩٢٢م] مدرس علم أصول في قم، والذي يقول بصراحة بتفويض الله تعالى للأئمة الخلق والرزق وما إلى

ذلك من أعمال الله تعالى، وأن الأئمة هم وسائط فعاليات مخلوقاته، ويدعى أن هذا التفويض صحيح، لا ينافى الإيمان بالله تعالى.

ومما يقول الخراسانى:

«إن الأئمة هم فاعلون ما به الوجود، وإن الله منه الوجود، وإن إمام العصر صار عبدا، وعندما صار عبدا صار ربا، فالعبودية جوهرة كنهها الربوبية، فمن ملك هذه الجوهرة تحققت ربوبيته بالله تعالى لا بالاستقلال بالنسبة إلى الأشياء الأخرى»[1].

هكذا نجد أنفسنا - أمام هذا النص الذى أورده الدكتور أحمد الكاتب - موثقا - إزاء تأليه الأئمة، فى المدرسة الشيعية الحديثة والمعاصرة - يصل إلى حد «تغبيش» التوحيد الإسلامى، فإمام العصر قد صار ربا، وربوبيته قد تحققت بالله، لا بالاستقلال عن الله - فهو شريك - والأئمة هم الفاعلون لما به الوجود!. والمفوض إليهم أمر الخلق والرزق بالنسبة للعباد!

* * *

ثم يورد الدكتور أحمد الكاتب نموذجا ثابتا من نماذج ظاهرة العلو الجديدة فى الفكر الشيعى الحديث والمعاصر، وهو:

* السيد محمد الشيرازى [١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م]، الذى يعتقد «بتفويض الله للنبى وللأئمة من أهل البيت الولاية التشريعية والولاية التكوينية، وذلك بمعنى أن زمام العالم بأيديهم، فلهم التصرف فيه إيجادا وإعداما، كما أن زمام الإمامة بيد عزرائيل وأنهم الوسائط فى خلق العالم والعلة الغائية له، كما أنهم سبب لطف الله تعالى وإفاضته على العالم، واستمرار قيام العالم بهم»[2]

١- محاضرة بقم - فى ١٣ شعبان سنة ١٣١١ هـ بعنوان «مقتطفات ولائية» ص ٣٩.

٢- [من فقه الزهراء] جـ ١ ص ١٠ - ١١ - ١٧ نقلا عن كتاب عوالم العلوم ومستدركاتها - مجلد فاطمة جـ ١ - .

أما النموذج الثالث - الذى يورده الدكتور أحمد الكاتب - على عوده واستمرار - العمر وتألقه الأئمة، والادعاء بأن لهم فى هذا الكون ولاية تكوينية على كل ذرات هذا الكون ، فهو:

* الإمام آية الله العظمى الخمينى [١٣٢٠ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٠٢ - ١٩٨٩م]

- الذى يورد الدكتور أحمد الكاتب نصوص العلو الشيعى موثقة من مكتبه فيقول.

«لقد نشر مؤخرا كتاب نسب إلى الإمام الخمينى تحت عنوان [مصباح الهداية إلى الولاية والخلافة] ورد فيه ما يلى:

«إن للأئمة مراتب متعددة مثل:

مرتبة (إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان.

ومرتبة: (إن لنا حالات مع الله نكون فيها هو نحن ونحن هو إلا أنه هو هو ونحن نحن) ، والتى أشارت إليها أدعية الناحية المقدسة فى رجب: (ولا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك) وكما ورد فى الزيارة الجامعة الشريفة: (حسابهم عليكم وإيابهم إليكم) أو قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه (أنا الذى يدخل أهل الجنة لجناتهم) فهو قسيم النار والجنة كما ورد متواترا..»

«ومما علمناك من البيان وآتيناك من التبيان يمكن لك فهم قول مولى الموحدين وقدوة العارفين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين:

كنت مع الأنبياء باطنا مع رسول الله ظاهرا، فإنه صلوات الله عليه صاحب الولاية المطلقة الكلية، والولاية باطن الخلافة، والولاية المطلقة الكلية باطن الخلافة الكلية، فهو - عليه السلام - بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس

بي كسبت، ومع كل الأشياء معية قيومية ظلية إلهية ظل لمعية القيومية الحقة الإلهية»[1]

ثم يواصل الدكتور أحمد الكاتب حديثه قائلا:

«وهذا ما ينسجم مع ما ورد في كتاب [الحكومة الإسلامية] - للخميني - الذي يقول فيه. «إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ﷺ وآله وسلم والأئمة (عليهم السلام) كانوا قبل هذا العالم أنوارا، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى مالا يعلمه إلا الله. وقد قال جبرائيل كما ورد في رواية المعراج: لو دنوت أنملة لاحترقت.

وقد ورد عنهم - عليهم السلام - : إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل»[2].

وقول الخميني:

«إن حقيقة التوحيد لا تكون تامة من غير ولا يتم عليهم السلام.. وإن ثبوت الولاية والحاكمية للإمام لا تعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون»[3].

«وإن هيولى مادة عالم الإمكان مسخرة تحت يدي الولي يقلبها كيف يشاء»[4].

١- الخميني [مصباح الهداية إلى الولاية والخلافة] ص ٨٤

٢- الخميني [الحكومة الإسلامية] ص ٥٢، ٥٣.

٣ المصدر السابق . ص ٢٥

٤- [مصباح الهداية إلى الولاية و لخلافة] ص ٥٣

كما يقول الخميني في [كتاب الأربعين حديث]:

«إن الأحـاديث المأثورة في طينة أبدانهم [الأئمـة] - وخلق أرواحـهم ونفوسهم، وفيما منحوا من الاسم الأعظم والعلوم الغيبية الإلهية من علوم الأنبيـاء والملائكة ومما هو أعظم مما لا يخطر على بال أحد، وهكذا الأخبار المنقولة في فضائلهم في مختلف الأبواب من الكتب والمعتبرة وخاصة كتاب أصول الكافي، إن مثل هذه الأخبار الكثيرة بقدر تبعث على تحير العقول، ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم عليهم السلام إلا أنفسهم»[1].

* * *

إما النموذج الرابع في مدرسة «لعدو الشيعي» الجديدة والذي أورده الدكتور أحمد الكاتب، فهو:

* الشيخ مرتضى المطهري الذي يقول في كتابه [الإمامة]:

«الأئمة هم أشخاص متخصصون في الإسلام بيد أن تخصصهم ومعرفتهم في الإسلام لم تكن انطلاقا من عقلهم واعتمادا على فكرهم، لأن معرفة مثل هذه واختصاصا من هذا القبيل يداخله الخطأ بالضرورة بل إن الأئمة أخذوا علوم الإسلام من النبي ﷺ وآله بطريق غيبي لجهله».

لقد تحولت المعرفة من النبي ﷺ وآله إلى علي عليه السلام ومنه بلغت الأئمة من بعده، وفي جميع أدوار الأئمة كان هناك علم إسلامي معصوم لا يخطىء يتحول من إمام إلى الذي يليه»[2]

١- خميني «الأربعون حديث» ص ٤٨٩ - حديث رقم ٣١ - طبعة مؤسسة دار الكتاب الاسلامي تعريب محمد الغروي

٢ مطهري [الإمامة] ص ٤٧

«وإن للإمامة درجة ومرتبة ثالثة (بالإضافة إلى القيادة السياسية والعلمية) هي ذروة مفهوم الإمامة. وكتب الشيعة مليئة بهذا المفهوم للإمامة، الذي يعدو وجها مشتركا بين التشيع والتصوف.

إن للولي الكامل، الذي ينطوي على (صفات) الإنسانية بشكل تام وكامل، ومقامات بعيدة كل البعد عن أذهاننا، ومن بين المقامات التي تذكر له: تسلطه على الضمائر، أي القلوب، انطلاقا من كونه روحا كلية بجميع الأرواح»[1].

«إن مسألة الولاية تطرح عادة في الاعتقاد الشيعي بهذا المعنى نفسه، ولكن على نحو مكثف جدا، فهي تطرح بمعنى أن يكون الولي حجة الزمان، بحيث لا يكون ثمة زمان خالي من الحجة أبدا.. ولولا الحجة لساخت الأرض بأهلها.

إننا نعتقد أن للإمام مثل هذه الروح الكلية ونحن نقول في الزيارة التي نقرأها جميعا باستمرار، وهي جزء من أصول التشيع «أشهد أنك تشهد مقامي، وتسمع كلامي وترد سلامي»

نحن نخاطبه بهذا الكلام وهو ميت، ولا فرق بالنسبة لنا في تحليه بهذا المقام - بين حياته ومماته»[2].

«إننا حين نطرح الإمامة بمثل هذا التصور الساذج ونختزلها في الحكم وحده بحيث نقول إن الإمامة تساوي الحكومة وحسب، فعندئذ نجد أن نظرية أهل السنة وما يذهبون إليه في المسألة تتحلى بجاذبية أكبر من نظرية الشيعة وما يعتقدون به.. إن الحكومة من الفروع، وهي لا تعدو أن تكون شأنا صغيرا جدا من شئون الإمامة»[3] .. «إن الإمامة عند الشيعة مفهوم يناظر النبوة [4] إن

(١) المصدر السابق، ص ٥٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٢
(٣) المصدر السابق، ص ٥٢، ٦٩، ٧٠.
(٤) المصدر السابق، ص ١٨٦

أهل السنة لم يتعمدوا في الإمامة أكثر من حد الحكومة، أما الإمامة عند الشيعة فهي تأتي تالي تلو النبوة، بل هي أرفع من بعض درجات النبوة [1] إنها ظاهرة ومفهوم يناظر النبوة في أعلى درجاتها.. إنها أمر شبيه بنبوة الأنبياء العظام»[2].

* * *

وسوق الدكتور أحمد الكاتب نموذج سادس من نماذج مراجع هذا العصر الشيعي الحديث والمعاصر .. نموذج:

* السيد محمد تقي المدرسي: الذي يقول:

«إن الإنسان الذي يعتقد بالوحي لابد أن يؤمن أيضا بامتداد هذا الوحي المتمثل في الأئمة عليهم السلام، وأن هذا الامتداد يتجسد بل يرتفع وينمو حتى يصل إلى قمته، وإلى ذروة امتداد الرسالة المتمثلة في الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه»[3].

* * *

هكذا عرض الدكتور أحمد الكاتب نصوص مراجع المدرسة الشيعية الحديثة والمعاصرة، « لعلاة الجدد » بتعبيره ولئك الذين يعثوا في العصر الحديث غلو الشيعة الإخبارين القدماء.

فألهوا الأئمة، وأشركوهم مع الله في يحد هذا الوجود. وجعلوا خلفهم سيف على وجود هذا العالم وجعلوا لهم في هذا العالم ولاية تكوينية على جميع ذرات الوجود.

١- مصدر السابق ص ١٨٧

٢- مصدر السابق ، ص ٢١٣

٣- السيد محمد تقي المدرسي [الإمام المهدي قدوة للصديقين] ص ٩.

فهم الذين فوض الله إليهم إدارة الكون. ولهم فيه الخلق والرزق. فإمام العصر هو رب العصر. وزمام العالم بيد الأئمة. بإيجادا وإعدام. وحساب الخلق عليهم، وإيابهم إليهم والإمام هو القائم على كل نفس بما كسبت.. وكل مادة هذا الوجود تحت يدى الإمام تقلبه كيف يشاء، وهم المتسلطون على الضمائر والقلوب.. ولولاهم لساخت الأرض بأهلها.

لقد رفعت الشيعة قديمها وحديثها - مقام أئمتهم على مقامات الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وقالوا بحياتهم بعد مماتهم.. وببلوغ الوحى الإلهى إليهم قمته.

لقد آلهوا الأئمة عندما أشركوهم مع الله فى إيجاد هذا العالم وفى إدارة هذا الوجود.

* * *

وهنا نسأل:

- إذا كان الأمر كذلك وإذا كان هذا هو جوهر الخلاف بين الشيعة والسنة وإذا كانت هذه هى درجة التعقيد والخطورة فى هذا الخلاف - كما عرضه الدكتور أحمد الكاتب.

فهل يجوز مع هذا التهوين من خطر هذا الخلاف وعمقه وتعقده؟! وأن نقول - كما قال الدكتور أحمد الكاتب:

«إن هذا الخلاف بين الشيعة والسنة - بالدرجة الأولى - خلاف سياسى تجاوزه الزمن، ولم تبق منه سوى بعض الرواسب والمخلفات البسيطة التى لا تشكل مادة جدية للخلاف.. فهو لا يدور حول القواعد الثابتة، وربما يتعلق بالقضايا الاجتهادية القائمة على أساس الأدلة الظنية، إنها خلافات «اسمية» وهمية تاريخية، وليست جوهرية ولا حيوية معاصرة».

إننا مع الدكتور أحمد الكاتب عندما يقول:

«لا يجوز دفن الرؤوس فى الرمال»

لكننا نسأله:

- من الذى يدفن الرؤوس فى الرمال؟!

لقد عرض الرجل - بأمانة العالم الناقد للغلو الشيعى فى الإمامة والأئمة - معالم هذا الغلو السائد الآن فى الفضاء الشيعى الاثنى عشرى، على النحو الذى سقناه من خلال النصوص التى نقلها ووثقها فوضعنا جميعا - سنة وشيعة أمام «المهمة الصعبة» وإن لم تكن مستحيلة مهمة التقريب الحقيقى بين الفئتين اللتين مثل الخلاف بينهما أعمق وأعقد الخلافات ظهرت واستمرت فى تاريخ الإسلام..

بل إن الدكتور أحمد الكاتب هو القائل:

«إن موضوع الإمامة الإلهية لأهل البيت، والعصمة، والنص، وموضوع الإمام الثانى عشر المهدى المنتظر الغائب. والتى تشكل أساس المذهب الإمامى الإثنى عشرى هى مادة الخلاف الرئيسية مع بقية المسلمين».

فالأمر ليس إذن «مجرد خلاف سياسى تجاوزه الزمن ولم يبق منه سوى بعض الرواسب والمخلفات البسيطة التى تشكل مادة حدية للخلاف».

* * *

والسؤال هو:

- هل هناك فى مراجع الشيعة الإثنى عشرية - غير الدكتور أحمد الكاتب من لديه شجاعة المراجعة لهذا الاعتقاد فى ألوهية الإمامة وتأليه الأئمة؟!

أم أن هؤلاء امر جع قد أصبحو سجناء هذ الموروث القديم الذى بعثه «الغلاة الجدد» فى واقعنا الحديث والمعاصر؟!

إننا فى واقع الأمر، أمام نظرية شيعية، جعلت من ألوهية الإمامة وتأليه الأئمة «كهوزتا» غريبا عن حقيقة الإسلام، كما يعتقده أهل السنة والجماعة وتلك هى «القضية المعضلة» التى يجب أن توضع على مائدة الحوار بين العلماء العقلاء – من الشيعة والسنة – إذا كنا نريد حقا التقريب الحقيقى بين هاتين الفرقتين من فرق المسلمين.

* * *

الموقف الشيعى
من صحابه رسول الله ﷺ

لقد أصاب الدكتور أحمد الكاتب كبد الحقيقة عندما قال:

«إن نشوء نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت، وتحولها إلى عقيدة دينية، أو أصل من أصول الدين، لدى الشيعة الإمامية، أوقعهم فى أزمة تاريخية وعداء نظرى مع الشيخين [أبى بكر وعمر] وانفصال واقعى عن ثقافة أهل البيت وتاريخ الشيعة الأوائل الذين كانوا يكنون حبا واحتراما كبيرين لأبى بكر وعمر. فنشأة نظرية الإمامة الإلهية، التى تحصر الحق فى الحكم والخلافة فى أهل البيت. والتى قالت بالنص والتعيين والحصر فى علىّ وذريته إلى يوم القيامة. قد انعكس سلبا غى مبدأ الشورى والخلفاء الراشدين الذين اعتبرتهم هذه النظرية غاصبين للخلافة من الإمام علىّ.. ولقد ظهرت هذه النظرية أول ما ظهرت فى الكوفة أثناء ثورة الإمام زيد بن على [٧٩ - ١٢٢ هـ ٦٩٨ - ٧٤٠م] على هشام ابن عبد الملك [١٠٥ - ١٢٥ هـ ٧٢٤ - ٧٤٣م] فى سنة ١٢٢هـ»

* كذلك أحس الدكتور أحمد الكاتب عندما قطع بزيف كل الروايات الشيعية التى تحدثت عن إكراه على بن أبى طالب على مبايعة أبى بكر، وعن تهديد عمر ابن الخطاب [٤ق هـ٢٣هـ ٥٨٤ - ٦٤٤م] به ولفاطمة إن لم تتم المبايعة. وعن اختلاق هذه الروايات إلى حاجة الشيعية لها كى تؤسس لنظريتهم فى الإمامة الإلهية.. وفى ذلك قال:

« لقد كان الإماميون بحاجة ماسة إلى رواية من ذلك القبيل، حتى يبنوا نظريتهم السياسية حول (الإمامة الإلهية لأهل البيت)فبالإضافة إلى النصوص

التى جاءوا بها من أهل إثبات النص على الإمام على، والتأويلات التى قاموا بها لبعض الآيات القرآنية، كانوا بحاجة إلى أدلة تاريخية تؤكد نظريتهم».

* وبأمانة الناقد للتاريخ والواعى بحقائق هذا التاريخ، رفض الدكتور أحمد الكاتب هذه الروايات المصنوعة، واللاعقلانية. وعلل أسباب اختلاقها فقال:

«ولكن التاريخ الإسلامى، وتاريخ الإمام على بالخصوص كان يكذب نظريتهم ويهدمها من الأساس، فكيف يصح النص على الإمام بالخلافة ويقوم هو بالتنازل عن «حقه الشرعى» طواعية ويبايع أبا بكر؟!

إذن لابد أن يكون هناك عنف وإرهاب وقمع واستضعاف له - [للإمام على] «يثبت» أنه بايع تحت الضغط - والإكراه وأن بيعة أبى بكر كانت باطلة، وكذلك مبدأ الشورى والاختيار.

ولعل المثير للسخرية أن تتم هذه العملية فى القرن الثالث، والقرن الرابع، بعد غياب أو فقدان أئمة أهل البيت، ووصول النظرية السياسية الإمامية إلى طريق مسدود..»

* * *

إذن فالعداء للصحابة وفى مقدمة منهم الخلفاء الراشدون - وما طفحت به مصادر الشيعة من أحكام عربية على الصحابة بالكفر والردة والنفاق، إنما كان انعكاسا لنشوء نظرية الإمامة الإلهية، لتبرير رفض الشورى والاختيار، وتثبيت القول بالنص والوصية والتعيين والخروج من مأزق بيعة على لأبى بكر وعمر وعثمان، وموالاته لهم، ونصرته للخلافة فى عهدهم.

فنظرية الإمامة الإلهية - التى طرأت بعد قرنين من تاريخ الإسلام - هى التى استدعت هذا الموقف الغريب والشاذ من الصحابة والخلافة الراشدة «فى

القرن الثالث والرابع بعد غيبة أو فقد أئمة أهل البيت، ووصول النظرية السياسية الإمامية إلى طريق مسدود».

* لذلك كان طبيعيا أن يقود هذا التحليل العلمي، الذي قدمه الدكتور أحمد الكاتب، لموقف الشيعة من الصحابة أن يقوده إلى الحل الذي يخرج الشيعة من هذا النفق المظلم الذي حشروا أنفسهم فيه.

لقد كانت نظرية الإمامة الإلهية هي السبب الذي أقر الموقف الشنيع من الصحابة.. ولذلك، فإن الخروج من هذا الموقف الشنيع إنما يبدأ بإعادة النظر في هذه النظرية.. التي هي محور الخلاف وأساس الشقاق والانشقاق.

وفي الإشارة إلى طريق الخروج من هذا النفق المظلم - يقول الدكتور أحمد الكاتب:

«إن الفهم الصحيح لنظرية الإمامة، وكونها نظرية «سياسية قديمة»، وبائدة، بدل أن تكون «عقيدة دينية» يشكل المقدمة الضرورية أمام التخلي النهائي والحاسم عن تلك الاتهامات الباطلة [للصحابة] ووضعها على فوق التاريخ».

هكذا وضع الدكتور أحمد الكاتب علماء الشيعة وحكماءها أمام الحقيقة، التي يجب أن توضع على مائدة الحوار - حوار العلماء الحكماء».

* * *

لقد زوج الإمام علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب.. وسمى ثلاثة من أبنائه بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان - وكان ركنا ركينا في خلافة هؤلاء الراشدين الثلاثة.

ولذلك، فإن الانقلاب الشيعي على هؤلاء الخلفاء الثلاثة، وعلى جمهور الصحابة، والحكم عليهم بالكفر والردة والنفاق ولعنهم والدعاء عليهم في

الأعياد والمناسبات الشيعية. وعقب الصلوات إنما هو انقلاب على الإمام علي وعلى الأئمة من آل بيته.

هذا الانقلاب الذي طبخ مصدر الفكر الشيعي بشناعته والذي نسبوا فيه إلى جعفر الصادق كما جاء في [الأصول من الكافي] للكليني [٣٢٩ هـ ٩٤١ م] - قوله:

«أن الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [آل عمران: ٩٠] قد نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان .. وكذلك آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥] وأنهم آمنوا بالنبي في أول الأمر، وكفروا حين عرضت عليهم ولاية علي بن أبي طالب.. وأنهم ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية علي..»[١]

* كما ينسب الكليني - في [الروضة من الكافي] - إلى جعفر الصادق - في تفسير الآية ﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩] أنهما أبو بكر وعمر..»[٢].

* أما المجلسي - محمد باقر [٣٧ ١ - ١١١٠هـ ١٦٢٨ - ١٦٩٨م] صاحب [مرآة العقول] - فإنه يقول في شرحه للكافي.

«إن الجن المذكور في الآية هو عمر بن الخطاب، سمي بذلك لأنه كان شيطانا إما لأنه كان شرك شيطان لأنه ولد زنى، أو لأنه في المكر والخديعة كالشيطان»[٣].

* وينسب الكليني إلى جعفر الصادق: أن هؤلاء الخلفاء الثلاثة - أبو بكر وعمر وعثمان - [لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب عظيم][٤].

١- [الكافي] جـ ١ ص ٤٢٠.
٢- [الروضة من الكافي] جـ ٨ ص ٣٣٤
٣- [مرآة العقول] جـ ٢٦ ص ٤٨٨
٤- [الكافي] جـ ١ ص ٣٧٣

* ويقول المجلسى - فى [العقائد]:

«إن من عدّ من ضروريات دين الشيعة الإمامية: البراءة من أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية»[1] كما يصفهم - فى كتابه [حق اليقين] - بأنهم الأصنام الأربعة وأنهم وأتباعهم وأشياعهم شر خلق الله على وجـــه الأرض واعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده يدل على أنهم مخلدون فى النار»[2].

* كما يروى - فى كتابه [بحار الأنوار] - عن مولى لعلى بن الحسين قوله فى أبى بكر وعمر: أنهما كافران كافر من أحبهما.[3] .

* كما ذكر المرعشى فى كتابه [إحقاق الحق] - وصف أبى بكر وعمر «بصنمى قريش» وأثبت نص الدعاء عليهما[4]

* ويذكر الشيخ المفيد [٣٣٨ - ٤١٣ هـ ٩٥٠ - ١٠٢٢م] اتفاق الشيعة الإمامية على تكفير الذين قاتلوا عليا.. ويصفهم «بالناكثين والقاسطين والكفار والضلال الملعونين المخلدين فى النار»[5].

* أما شيخ الشيعة نعمة الله الجزائرى [١٠٥٠ - ١١١٢هـ ١٦٤٠ - ١٧٠١م] فإنه يعلن المفارقة فى الدين مع جمهور الصحابة وجميع أهل السنة والجماعة .. فيقول:

«إننا لم نجتمع معهم على إله، ولا نبى ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذى كان محمد نبيه، وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب،

١- [العقائد] ص ٥٨

٢- [حق اليقين] ص ٥١٩

٣- [بحار الأنوار] جـ ٦٩ ص ١٣٧ ، جـ ٢٣ ص ٢٩.

٤- [احقاق الحق] جـ ١ ص ٩٧

٥- أوائل المقالات. ص ٤٥.

ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليقته أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»[1].

* ويروى للكليني هذا الحكم القاطع بكفر كل من عدا الشيعة الإثنى عشرية، عن الإمام الرضا، الذي يقول، كما زعم الكليني.

«إن شيعتنا المكتوبون بأسمائهم، وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلو مدخلنا ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة»[2].

* ويعتبره شيخ الشيعة ومرجعهم الكبير السيد محمد الشيرازي [١٣٣٨ هـ ١٩٢٠م]:

«فإن من جحد إماما من الأئمة الاثني عشر - بل في ذلك أقسام الشيعة غير الاثني عشرية - هم كمن قال إن الله ثالث ثلاثة»[3].

* وحتى الإمام أبو القاسم الخوئي [١٣١٧ - ١٤١٢ هـ ١٨٩٩ - ١٩٩٢م] فإنه يقول:

«إنه ثبت بالروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين ووجوب البراءة منهم، وكثرة السب عليهم، واتهامهم، والوقيعة فيهم - أي غيبتهم - لأنهم من أهل البدع والريب، بل لا شبهة في كفرهم، لأن إنكار الولاية والأئمة حتى لواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم، يوجب الكفر والزندقة، وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية»[4].

* * *

١ - [الأنوار النعمانية] جـ ٢ ص ٢٧٩

٢ - [الكافي] جـ ١ ص ٢٢٣

٣ - [الفقه] جـ ٤ ص ٢٦٩

٤ - [مصباح الفقاهة] جـ ٢ ص ١١.

إن هذه الشعائر - التي ملأت المجلدات والتي غدت شعائر وأدعيه وعبادات يتعبد بها جمهور الشيعة - هي - في حقيقتها - انقلاب على خُلق الإمام علي بن أبي طالب والأئمة من آل بيته.

ذلك أن الصحابة وإن اختلفوا في السياسة، فإنهم لم يختلفوا في الدين. وحتى عندما بلغ الخلاف السياسي ببعضهم حد القتال فإن ذلك لم يخرج أيًا منهم من إطار الإيمان بثوابت الإسلام - لقد اجتهدوا في السياسة - أي في الفروع والتفصيلات - فأصاب قوم، كتب لهم أجران وأخطأ آخرون، فكان لهم أجر واحد، هو أجر الاجتهاد.

ولقد كان الإمام علي في مقدمة الذين أعملوا هذا المنهج الإسلامي في النظر إلى فرقاء هذا الاختلاف الذي اشتهر بالفتنة الكبرى - ففي موقعة «صفين» [٣٧ هـ ٦٥٧م] التي مثلت ذروة الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان [٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ ٦٠٣ - ٦٨٠م] أعلى الإمام عليّ عن الطبيعة السياسية - وليست الدينية - لهذا الصراع فقال - في مواجهة «الغلو الخوارجي» الذي حكم بالكفر على أطراف هذا الصراع:

«والله لقد التقينا، وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء»[1] **«إننا والله، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء [الخوارج] - من التكفير والافتراق في الدين، وما قاتلناهم إلا لتردهم إلى الجماعة، وإنهم لإخواننا في الدين، قبلتنا واحدة**

١ ابن أبي الحديد [شرح نهج البلاغة] جـ ١٧ ص ١٤١ تحقيق محمد بو الفضل إبراهيم طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩

ورأينا أننا على الحق دونهم »[1] «ولقد أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل، فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا رغبنا فيها، وأمسكنا عما سواها »[2].

وعندما سئل الإمام علي عن « حرب » قبلي الفريقين - في صفين - قال «إني أرجو ألا يقتل أحد تقي قلبه، منا ومنهم، إلا أدخله الله الجنة »[3]

فالاختلاف كله - في الفتنة الكبرى كلها - اختلاف في السياسة التي هي من الفروع والفقهيات ولم يكن خلافا في الدين . أي أنه في مطلق الاجتهاد في الفروع

وإذا كان معيار الخلاف في أمهات عقائد الدين وأركانه هو «الإيمان» و «الكفر» فإن معيار الاختلاف في السياسة والفروع هو «الصواب والخطأ» وفرقاء هذا الاختلاف حتى وهم في حد الاقتتال - لا يخرجهم اختلافهم واقتتالهم من إطار الإيمان بدين الإسلام.

ويشهد على ذلك القرآن الكريم الذي انطلق منه الإمام علي في تحديد طبيعة هذه الاختلافات فيقول الله سبحانه وتعالى [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ۝ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون] [الحجرات ٩ ، ١]

١- الباقلاني [التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة] ص ٢٣٧، ٢٣٨ تحقيق محمد الخضيري د. محمد عبد الهادي أبو ريدة طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧

٢ - الإمام علي [نهج البلاغة] ص ١٤٧ ، ١٤٨ طبعة دار الشعب القاهرة.

٣- [التمهيد] للباقلاني - ص ٢٣٧

هكذا قال الإمام علي منطلقا من القرآن الكريم - في الذين بغوا عليه وقاتلوه .. بينما قالت الشيعة - بلسان الشيخ المفيد وغيره.

«باتفاق الإمامية على تكفير الذين قاتلوا عليا.. ووصفهم بالناكثين والقاسطين والكفار والضلال الملعونين المخلدين في النار»[1].

بل لقد بلغ الغلو بهذا الانقلاب الشيعي على منهج الإمام علي والأئمة من أهل بيته إلى حد قول المجلسي:

«إعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده يدل على أنهم مخلدون في النار»[2]

لقد ألجأهم الخطأ إلى المزيد والعديد من الأخطاء.. ألجأهم الخطأ في تأليه الأئمة، وفي جعل الإمامة عقيدة دينية وركنا من أركان الاعتقاد الديني إلى تكفير المخالفين وإخراجهم من الدين وإلى الحديث عن المذهب باعتباره دينا مستقلا وموازيا - وهذا أمر بالغ الخطورة - حتى قال نعمة الله الجزائري [١١١٢ هـ ١٧٠١م] عن أهل السنة والجماعة:

«إننا لم نجتمع معهم على إله، ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد نبيه، وخليفته أبو بكر ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي بل نقول: إن الرب الذي خليفته أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»[3].

ويقطع الكليني بهذا الافتراق في الدين مع كل من لا يؤمن بنظرية الإمامة الشيعية فينسب إلى الإمام الرضا [١٥٣ - ٢٠٣ هـ ٧٧٠ - ٨١٨م] وهو الثامن في سلسلة أئمة الإثني عشرية - قوله:

١- الشيخ المفيد [أوائل المقالات] ص ٤٥.

٢- المجلسي [بحار الأنوار] جـ ٢٣ ص ٣٩٠

٣- نعمة الله الجزائري [الأنوار النعمانية] جـ ٢ ص ٢٧٩ طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت

«إن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيام..»[1].

بل ويخرجون من الدين - مع أهل السنة والجماعة - حتى الشيعة غير الإثني عشرية. فيقول السيد محمد الشيرازي [١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠م]

«إن من جحد إماما من الأئمة الإثني عشر - بمن في ذلك سائر أقسام الشيعة غير الإثني عشرية - هم كمن قال إن الله ثالث ثلاثة»![2]

ويبلغ هذا التكفير والإقصاء من الدين حد العنصرية عند الشيخ المفيد [٤١٣ هـ ١٠٢٢م]، الذي يقول:

«إنه ليس أحد طاهر المولد، وليس أحد على ملة الإسلام إلا الشيعة»![3]

ويظل هذا الميراث التكفيري لكل من عدا الشيعة الإثني عشرية - والذي بيته المدرسة الأصولية الإجتهادية في القرن التاسع عشر الميلادي - يظل قائما وسائدا لدى المراجع الكبار في القضاء الشيعي المعاصر. فيقول الإمام أبو القاسم الخوئي [١٣١٧ - ١٤١٢ هـ ١٨٩٩ - ١٩٩٢م]:

«إنه ثبت بالروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين، ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم، واتهامهم، والوقيعة فيهم، لأنهم أهل البدع والريب، بل لاشبهة في كفرهم، لأن إنكار الولاية والأئمة، حتى الواحد منهم، والإعتقاد بخلافة غيرهم يوجب الكفر والزندقة، وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية»![4]

* * *

١- [الكافي] جـ١ ص ٢٢٣.
٢- السيد محمد الشيرازي [الفقه] جـ٤ ص ٢٦٩.
٣- الشيخ المفيد [الأمالي] ص ١٦٩.
٤- الخوئي [مصباح الفقاهة] جـ٢ ص ١١.

هكذا رأينا منهج الإمام علي في النظر إلى المخالفين - حتى الذين بغوا عليه وقاتلوه - وهو المنهج الذي تنطق فيه من القرآن الكريم، الذي لم يخرج البغاة من حظيرة الإيمان بالإسلام وذلك لأن بغيهم وقتالهم إنما كان في الفروع والسياسات - ولم يكن في الدين وعقائده وأركانه.

ورأينا كيف رفض الإمام علي موقف الخوارج، الذين كفروا المخالفين

ثم رأينا الانقلاب الشيعي على منهاج الإمام علي - حتى لقد تفوقوا في هذا «الانقلاب التكفيري» على الخوارج العتاة!.

وإزاء هذه «الحقيقة المرة» نجد أنفسنا - سنة وشيعة - أمام ضرورة إعادة النظر في هذا «التراث التكفيري»، الذي امتلأت وتمتلئ به مصادر الفكر الشيعي - والذي يصوغ العقائد والعقول والوجدانات عند خريجي الحوزات العلمية - ومنهم المراجع الكبار - وتبعا لهم عامة المقلدين. وهو التراث القائم في حقل الشيعة والتشيع منذ نشوء نظرية الإمامة الإلهية وتأليه الأئمة وحتى هذه اللحظات..

وإذا لم تمتلك الشجاعة الأدبية والفكرية التي تجعلنا نضع هذه القضية - قضية تكفير الآخر، الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله - على مائدة الحوار - حوار العلماء الحكماء العقلاء - فسيظل الحديث عن التقريب بين الشيعة والسنة ضرب من الوهم والزيف والتعمية على حقائق الأمور..

وستظل «ألغام التكفير» هذه جاهزة في هذا المخزون الفكري حتى يأتي لأعداء - أعداء الإسلام والمسلمين - يتفجرها عند اللزوم!

* * *

إن «ألغام التكفير» هذه - تكفير الشيعة للصحابة ولأهل السنة والجماعة - أي لـ ٩٠٪ من الأمة - على مر أجيالها - قد أسستها الشيعة على روايات

تاريخية اخترعت كما يقول الدكتور أحمد الكاتب في القرن الرابع الهجري. ذلك القرن الذي كان - بتعبيره - «قرنا إخبار يا حشويا موبوء بالخرافات والأساطير والغلو، بسبب انقطاع صلة الشيعة مع أئمة أهل البيت، الذين كانوا في حياتهم يرشدون حركة التشيع، ولما توفي الإمام الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هـ دون ولد ظاهر يستلم زمام القيادة والتوجيه، وخيم ما يسمى بعصر الحيرة والغيبة، وقع الشيعة وخاصة الإمامية، ضحية الرواة الكذبة الدجالين..»

وفي إطار ذلك نسجت الأساطير والروايات والأكاذيب عن اضطهاد الصحابة لآل البيت، نظرية الإمامة الإلهية وظلت هذه الروايات والأكاذيب سائدة ورائجة كمصادر للتربية والتكوين النفسي عند مراجع الشيعة وجماهيرهم.

* فصريح كمشاعر إيراني اسمه أبو لؤلؤة تحول إلى مزار مقدس بحسبانه هو قاتل عمر بن الخطاب!

* وعيد الزهراء يصنع فيه جمهور الشيعة وعامتهم دمية لعمر بن الخطاب ويرجمونها بالأحجار!

* وحتى هذه اللحظات يصر العلماء والفقهاء والمراجع الكبار على تأسيس المذهب على هذه الأساطير.

فيصرح مدير مركز الأبحاث العقائدية في مكتب السيد علي السيستاني - وهو أكبر مراجع شيعة العصر - بصرح الشيخ فارس الحسون كما يورد الدكتور أحمد الكاتب - فيقول:

«.. والحقيقة أن قضية الزهراء سلام الله عليها - [أي ضرب عمر بن الخطاب لها، وإسقاطه جنينها] - أساس مذهبنا، وجميع القضايا التي لحقت تلك القضية وتأخرت عنها كلها مترتبة على تلك القضية، ومذهب الطائفة

الإمامية الإثنى عشرية بلا قضية الزهراء - سلام الله عليها - وبلا تلك الآثار المترتبة على تلك القضية - هذا المذهب - يذهب ولا يبقى، ولا يكون فرق بينه وبين المذهب المقابل»!!

على مثل هذه الأكاذيب التي نسجت زورا وبهتانا إلى الصحابة - رضوان الله عليهم - تأسس المذهب. وفي النقيض منه عقيدة الإمامة الإلهية. ثم تحولت هذه الأكاذيب إلى مناهج في التربية والتكوين الثقافي والتشحن الوجداني والتعبئة النفسية.. فعدونا أمام «مهمة صعبة».. ندعو الله، سبحانه وتعالى، أن لا تدخل في عداء المستحيلات!

* * *

ملاحظات

بقيت لنا ملاحظات على ما أورده الدكتور أحمد الكاتب في حديثه عن الموقف الشيعي -وكذلك الموقف السني - من صحابة رسول الله - ﷺ

- ١ -

لقد قال:

«إن النقد والسب واللعن والتكفير والاتهام بالردة والنفاق - [للصحابة - من قبل الشيعة] - كان إفرازا من إفرازات الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين».

ونحن نختلف مع الدكتور أحمد في التعليل . فلقد سبق وأوردنا نصوصه هو التي تؤكد على أن الموقف الشيعي من الصحابة إنما جاء إفرازا لتطور نظرية الإمامة الإلهية وتأليه الأئمة وليس بسبب أحداث الفتنة الكبرى

ويشهد على ذلك الموقف الشيعي من الشيخين أبي بكر وعمر والذي اختصهما بأفحش الاتهامات وأقذع الأوصاف . وهما قد عاشا ومات قبل نشوب أحداث الفتنة بين الصحابة عليهم جميعا رضوان الله.

- ٢ -

والملاحظة الثانية حول قول الدكتور أحمد الكاتب أن علماء أهل السنة والجماعة قد أضفوا القدسية والعصمة على عموم الصحابة فعلوا في هذا الموقف - في مقابل الغلو الشيعي المضاد..

وفي هذا المقام، قال الدكتور أحمد الكاتب:

«إن النظرية السنية حول الصحابة، جعلت منهم مادة دينية رغم أنهم بشر،

فى حين أنهم لم يكونوا يشكلون جزءا من العقيدة الإسلامية.. لقد رفعتهم - [النظرية السنية] - إلى درجة (العصمة) وحتمية غفران الله لذنوبهم».

* ونحن نقول - فى حوار العلمى مع العالم الفاضل الدكتور أحمد الكاتب:

إن أهل السنة والجماعة لم يجعلوا الصحابة جزءا من العقيدة الإسلامية ولم يرفعوهم إلى درجة العصمة. لأن العصمة - فى الفكر السنى - هى فقط لرسول الله ﷺ فيما يبلغ عن الله - سبحانه وتعالى -.

ولم يقل أهل السنة «بحتمية» غفران الله لذنوب الصحابة. فأهل السنة والجماعة لا يقولون بأية حتمية على الذات الإلهية، صاحبة المطلقة والقدرة والمشيئة، التى لا تعرف الحدود..

وما قاله أهل السنة والجماعة عن الصحابة أنهم بشر مجتهدون، منهم المصيب، ومنهم المخطىء.. ومنهم البغاة، الذين بغوا على الخليفة الشرعى - عثمان.. وعلى - فى أحداث الفتنة الكبرى - لكن حتى هؤلاء البغاة مؤمنون - كما أخبر بذلك القرآن الكريم - لأن خلافهم وقتالهم وبغيهم إنما حدث فى الفروع والسياسات - وليس فى عقائد الدين وأركانه - ومن ثم فإن هذا الأختلاف والبغى والأقتتال لا يخرج أيا من فرقائه حظيرة الإيمان بالإسلام..

أما الذين صحبوا رسول الله ﷺ من المنافقين فإن صحبتهم هذه هى صحبة بالمعنى اللغوى.. وليست بالمعنى الاصطلاحى.. لقد «صحبوا» الرسول، لكنهم لم يكونوا «معه»، أى لم يكونوا من الذين تحدث عنهم القرآن فقال: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ} [الفتح: ٢٩].. أى لا يستوى أهل الصحبة المادية، الذين كانوا «على الرسول»، بأهل الصحبة الشاملة، الذين كانوا «معه» ﷺ.

* وعندما ألف علماء أهل السنة والجماعة فى تراجم الصحابة، لم يوردوا أسماء المنافقين الذين صحبوا الرسول - بالمعنى اللغوى للصحبة

لقد انطلق أهل السنة والجماعة - في الموقف من الصحابة ومن عقران الله لذنوبهم - من القرآن الكريم.. الذي قال:

[محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما] [الفتح: ٢٩]..

[لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا] [الفتح ١٨]

[أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون] [المجادلة: ٢٢]

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه] [البينة ٧ ٨.

[اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا] [المائدة ٣]

[ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا] [الأحزاب: ٢٢ ٢٣].

[والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم

المؤمنون حقًّا لهم مغفرة ورزق كريم * والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم} [الأنفال: ٧٤ - ٧٥].

{والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم} [التوبة: ١٠٠].

من هذه الآيات القرآنية المحكمة - وعشرات مثلها - انطلق علماء السنة والجماعة في موقفهم من صحابة رسول الله ﷺ.

فحكموا بما حكم به القرآن - لهؤلاء الصحابة - من الرضى والرضوان والتبشير بالجنة والنعيم المؤبد فيها والفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

وقالوا - [علماء أهل السنة والجماعة] - مع ذلك - بأن الصحابة: بشر.. مجتهدون.. يصيبون ويخطئون.. وزن عدالتهم فيما بلّغوا عن رسول الله هي عدالة المجتهد.. وليست عدالة المعصوم.. وإن كانوا في مجموعهم - كأمة - لا يجتمعون على ضلالة - كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ «لا تجتمع أمتي على ضلالة» ومن معاني الأمة «الجيل.. والقرن» من الناس.

وقال علماء أهل السنة والجماعة - كذلك -: إن اختلافات الصحابة السياسية هي اختلافات المجتهدين في الفروع والفقهيات، التي لا تخرج فرقاءها من إطار الإيمان بدين الإسلام..

وما ينفيه أهل السنة والجماعة عن الصحابة - ليس خطأ في الاجتهاد وإنما الحكم الشنيع على جمهورهم بالكفر والردة والضلال والنفاق والمروق من دين الإسلام. وهو الذي ذكره الدكتور أحمد الكاتب - عرضًا - عندما قال «باحتمال افتقاد بعض الصحابة لدرجة الإيمان العليا، والاتصاف بالنفاق والكفر»!

ذلك أن علماء أهل السنة والجماعة عندما يرفضون مثل هذه الأحكام والأقوال في حق الصحابة، إنما ينطلقون من نصوص القرآنية - التي أشرت إلى بعض معالمها لهؤلاء الصحابة ومن منهاج الإمام علي بن أبي طالب نفسه في تقويم خصومه في الصراع السياسي على الخلافة. وهو المنهج الذي سبقت إشارتنا إلى عباراته النفسية والحكيمة والدقيقة المعبرة عنه. وإلى نصيف إليها ما ذكره الدكتور أحمد الكاتب من قول الإمام علي في أهل وقعة «الجمل»، الذين وقعت الحرب بينه وبينهم، عندما سئل عنهم.

- أمشركون هم؟

- فقال: من الشرك فروا.

- فسئل: أمنافقون هم؟

- فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا.

- فسئل: فما هم؟

- فقال: إخواننا بغوا علينا».

وعندما سمع - كرم الله وجهه - بعض أصحابه - في «صفين» - سب أهل الشام - معاوية وصحبه - قال.

- «إني أكره أن تكونوا سبابين».

هذا هو الموقف الذي انطلق منه علماء أهل السنة والجماعة والتزموا به في حديثهم عن صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين.

فأهل السنة لم يجعلوا الموقف من الصحابة عقيدة دينية، ولذلك لم يحكموا بالكفر على المختلفين في آرائهم، وإنما قالوا - بلسان حجة الإسلام أبي حامد الغزالي:

«إن الخطأ المتعلق بأحوال الصحابة بدعة»[1].. وليس كفرا.

١- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص ١٥

وأهل السنة والجماعة لم يسووا بين كل الذين رأوا رسول الله ﷺ وصحبوه - بالمعنى اللغوى للصحبة - وإنما شرطوا للصحبة - بالمعنى الاصطلاحى - شروطا لخصها الواقدى (١٣٠ - ٢٠٧ هـ ٧٤٧ - ٨٢٣م) - فى النص الذى أورده الدكتور أحمد الكاتب - عندما قال:

«رأيت أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم، وأسلم، وعقل أمر الدين، ورضيه، فهو عندنا ممن صحب النبى ولو ساعة من نهار. ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم فى الإسلام».

ففى هذا النص - المعبر عن رأى أهل العلم من علماء أهل السنة والجماعة - شروط خمسة لمن يطلق عليه مصطلح «الصحابى»:

١ - رؤية الرسول ﷺ أى الصحبة بالمعنى اللغوى.

٢ - وإدراك الحُلم، أى البلوغ والتكليف

٣ - والإسلام

٤ - وعقل الدين، أى الإيمان بالإسلام عن قناعة وتعقل

٥ - والرضى بهذا الدين، أى الاطمئنان والانتماء والولاء لهذا الدين

ثم هم - بعد هذه الشروط الخمسة - لا يسوون بين الذين توفرت فيهم جميع هذه الشروط، وإنما يسهون ويتصون - على أن الصحابة الذين اجتمعت فيهم كل هذه الشروط ليسوا سواء، وإنما هم **«على طبقاتهم وتقدمهم فى الإسلام»..**

* ويشهد لذلك أيضا ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن حجة الإسلام أبى حامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ - ١١١١م] من:

«أنه لا يكفي للاسم - [الصحابي] - من حيث الوضع - الصحبة ولو ساعة: ولكن العرف يخصص الاسم بمن كثرت صحبته».

- ٤ -

ولم يحدث أن علماء أهل السنة والجماعة ساووا بين فرقاء الصراع في الفتنة الكبرى. ومن الشواهد على ذلك ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن الإمام النووي [٦٣١ - ٦٧٦ هـ ١٢٣٣ - ١٢٧٧م] - في شرحه لصحيح مسلم جـ٧ ص ١٦٨ - عندما قال:

«إن عليا رضي الله عنه كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى - أصحاب معاوية رضي الله عنهم - كانوا بغاة متأولين.. والجميع مؤمنون، لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون، وهذا مذهبنا..».

* وكذلك ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن شيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨م] - في الفتاوى جـ٤ ص ٤٦٧ - من قوله:

«إن كلا الطائفتين المقتتلتين - علي وأصحابه ومعاوية وأصحابه - على حق، وإن عليا وأصحابه كانوا أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه»

* وكذلك ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن الإمام بن كثير [٧٠١ - ٧٧٤هـ ١٣٠١ - ١٣٧٣م] في [البداية والنهاية] جـ ١ ص ٥٦٣ - من قوله:

«إسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق - لا كما تزعمه فرقة الرافضة أهل الجهل والجور من تكفيرهم أهل الشام - ولقد كان أصحاب على أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة: أن عليا هو المصيب، وإن كان معاوية مجتهدا في قتاله له، وقد أخطأ، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن عليا هو الإمام المصيب إن شاء الله تعالى، فله أجران..».

* وكذلك ما أورده الدكتور أحمد الكاتب عن إمام الأشعرية أبي الحسن

لأشعري [٢٦٠ - ٣٢٤ هـ ٨٧٤ - ٩٣٦م] في كتابه «الإبانة» من قوله:

«.. فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة، رضي الله عنهم، فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعلى الإمام، وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي بالجنة والشهادة، فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهاده. وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية، رضي الله عنهم، كان على تأويل واجتهاد».

* وكذلك ما نقله الدكتور أحمد الكاتب عن الإمام ابن حزم الأندلسي [٣٨٤ - ٤٥٦ هـ ٩٩٤ - ١٠٦٤م] - في [الفصل] جـ٤ ص ١٥٨ - من قوله في أهل «الجمل»:

«.. فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي، ولا خلافا عليه، ولانقضا لبيعته، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته. هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد، فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما. وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإرغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدافع القوم عن أنفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظن ولاشك أن الأخرى بدءت بها بالقتال. واختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرامه.

فكنتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها.

ورجع الزبير، وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غرب وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط.. فانصرف ومات من وقته، رضي الله عنهم.. فهكذا كان الأمر..».

هذا هو موقف أهل السنة والجماعة من صحابة رسول الله ﷺ

* لا يجعلونهم «عقيدة دينية» ومن ثم لا يكفّرون الخائضين فيهم، اللهم إلا إذا كان تكفير جمهور الصحابة يلقي بظلاله على الثقة في نقل الدين - وحبا وسنة وشريعة - لأن ذلك يعني مناقضة القرآن الذي قطع بالحفظ الإلهي لهذا الذكر الحكيم، ومن ثم تهيئة الله - سبحانه وتعالى - لهذا الجيل الذي صنعه الرسول على عينه - كي يحمل هذا الدين إلى التابعين، كما أن في التكفير من شهد لهم القرآن بالجنة والفوز والرضوان فيه تكذيب لله ورسوله يفضي إلى الكفر المحقق والعياذ بالله.

* ولا يقول أهل السنة والجماعة بعصمة الصحابة، وإنما يقولون باجتهادهم، هذا الاجتهاد الذي للمخطئ فيه أجر، وللمصيب فيه أجران.

* وهم لم يسووا بين فرقاء الصراع في الفتنة الكبرى، وإنما حكموا لعلي بن أبي طالب بأنه كان الإمام الحق، والخليفة الشرعي، والأقرب إلى الحق في الاجتهاد بموضوع الاختلاف، فهو صاحب الشرعية، وله أجران على اجتهاده، بينما كان خصومه متأولين مخطئين في الاجتهاد..

* * *

ونحن لو قارنا بين موقف أهل السنة والجماعة - هذا - من صحابة رسول الله ﷺ

توقيرهم، والثناء عليهم، والقول بعدالتهم فيما بلّغوا عن رسول الله، مع نفي العصمة عنهم، والحكم بخطأ، بل وبغي، من أخطأ وبغى منهم، كثمرة للخطأ في الاجتهاد والتأويل -

لو قارنا هذا الموقف السني بموقف الشيعة الإمامية من أئمتهم، وكيف بلغ الغلو فيهم حد التأليه أحيانا، والتفضيل على الأنبياء والمرسلين أحيانا

أخرى . ولقول بعصمتهم في كل الأحيان ولادعاء بأن لهم ولاية تكوينية على كل ذرات هذا الكون وبأن الله قد فوض إليهم أمور الخلق والرزق في هذا العالم. وبأن إمام الزمان هو رب الزمان وبأن حساب الناس عليهم وعذابهم إليهم.. وأنه لولاهم لساخت الأرض بمن ومن عليها.. إلخ إلخ .

لو قارنا هذين الموقفين - موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة، وموقف الشيعة الإمامية من أئمتهم - لعلمنا أين الغلو؟، وأين الاعتدال؟ وأين هي الخرافة؟ وأين هي النظرة العلمية العقلانية لهذا الجيل الفريد، الذي أقام الدين وأسس الدولة وأزال قوى الهيمنة والاستعمار والقهر والاستغلال وحرر الأرض والإنسان وغير وجه الدنيا واتجاه التاريخ.. وحمل إلى أقطار الأرض أعظم نعم الله علينا: نعمة الإسلام..

فقولا هؤلاء الصحابة الكرام لكان جمهور الشيعة محوسا يعبدون النار حتى الآن ولكان جمهور أهل السنة يعبدون الصنم وربما لعجل أبيس حتى هذه اللحظات!

* * *

تلك صفحات كان الفضل في تحريرها لمطالعة كتاب العالم الفاضل الدكتور أحمد الكاتب:

[السنة والشيعة: وحدة الدين - خلاف السياسة والتاريخ]

والذي سيسعد دائما وأبدا عندما يقدمه إلى الباحثين والقراء سائلين المولى - سبحانه وتعالى - أن يحقق مقاصده من وراء هذه الجهود الفكرية والعلمية، التي يبتغي بها رأب الصدع القائم في صفوف الأمة الإسلامية - بين الشيعة والسنة..

إنه - سبحانه - أفضل مسئول وأكرم مجيب،

١٨ جمادى الأولى سنة ١٤٢٨ هـ.

دكتور

٤ يونيه سنة ٢٠٠٧م

محمد عمارة

المصادر والمراجع

ابن أبي الحد- [شرح نهج البلاغة] تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م.

ابن تيمية: [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] طبعة القاهرة سنة ١٣٢١ هـ.

ابن حزم: [الفصل فى الملل و لأهواء والنحل].

ابن خلدون [المقدمة] طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

بن كثير. [البداية و لنهاية].

أبو حنيفة لعربى - [دعائم الإسلام] تحقيق: آصف بن على أصغر

اسمعيل بن محمد فيضى. طبعة لقاهرة سنة ١٩٦٩م

د أحمد لكاتب [السنة والشيعة:وحدة الدين. خلاف السياسة والتاريخ].

الأفغانى - جمال الدين: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

لريجى -و لجرجانى. [شرح المواقف] طبعة القاهرة سنة ١٣١١ هـ.

الباقلانى: [التمهيد] تحقيق:محمد الخضيرى، د. محمد عبد الهادى أبو ريدة. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م.

بريمر – بول: [مذكرات بريمر] – «عام قضيته في العراق» – ترجمة. عمر الأيوبي – طبعة دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦م.

الحر العاملي: [وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة] تحقيق حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي، سيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م

الجويني: [الإرشاد] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م.

الخراساني – محمد الوحيد: [مقتطفات ولائية] – محاضرة بقم في ١٣ شعبان سنة ١٣١١ هـ.

الخميني – آية الله: [الحكومة الإسلامية].

: [مصباح الهداية إلى الولاية والخلافة].

[الأربعون حديثا] تعريب محمد العروسي طبعة مؤسسة الكتاب الإسلامي.

الخوئي – أبو القاسم [مصباح الفقاهة]

رسول جعفريان: [أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة] بقديم د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م

الشهرستاني: [نهاية الإقدام في علم الكلام] تحقيق: ألفريد جيوم. طبعة مصورة بدون تاريخ الطبع ومكانه

الطوسي (أبو جعفر): [الخلاف الفقهي] تحقيق السيد حسن بحر

العلوم. طبعة النجف سنة ١٣٨٣ هـ سنة ١٣٨٤هـ.

عبد الحسين أحمد الأميني: [الغدير في الكتاب والسنة والأدب] طبعة بيروت - الثالثة -

علي بن أبي طالب - الإمام: [نهج البلاغة] طبعة دار الشعب - القاهرة.

الغزالي - أبو حامد: [الاقتصاد في الاعتقاد] طبعة القاهرة - مكتبة صبيح - بدون تاريخ.

: [فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة] طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

الفيض الكاشاني: [تفسير الصافي] طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م.

الكرماني - أحمد حميد الدين: [راحة العقل] تحقيق: د. محمد كامل حسين، د. محمد مصطفى حلمي. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م.

الكليني: [الأصول من الكافي] تحقيق: علي أكبر العفاري. طبعة طهران سنة ١٣٨٨ هـ.

: [الروضة من الكافي].

المجلسي: [مرآة العقول] طبعة دار الكتب الإسلامية - طهران.

: [العقائد]

: [حق اليقين]

: [بحار الأنوار]

المرتضى - السيد على بن الحسين: [مجموع من كلام السيد المرتضى] - مخطوط بالمكتبة التيمورية - دار الكتب المصرية.

المرعشي: [إحقاق الحق].

محمد تقي المدرسي: [الإمام المهدي قدوة الصديقين].

محمد السماك: [الأقليات بين العروبة والإسلام] طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

محمد الشيرازي - السيد: [من فقه الزهراء].

: [الفقه]

د.محمد عمارة: [الإسلام وفلسفة الحكم] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

[الإسلام والتعددية] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧م.

[الإمامة]

المطهري - الشيخ مرتضى: [عقائد الإمامية] - طبعة دار النعمان - النجف.

المظفر - محمد رضا: [أوائل المقالات] طبعة تبريز - إيران.

المفيد - الشيخ: : [المسائل السرورية].

نعمة الله الجزائري: [الأنوار النعمانية] طبعة تبريز - إيران.

يوسف البحراني: [الدار النجفية] طبعة مؤسسة آل البيت.

المقدمة

من هم الشيعة؟ ومن هم السنة؟

قد يحلو للبعض تصوير الخلاف الشيعي السني وكأنه خلاف عقدي جذري وخالد لا يمكن معالجته إلى يوم القيامة، ولكني أعتقد أنه بالدرجة الأولى خلاف سياسي تجاوزه الزمن، وهو إن كان يتضمن معنى من معاني الخلاف السياسي في التاريخ السحيق، فإنه قد فقد مبرر وجوده اليوم بعد حدوث تطورات هائلة في حياة المسلمين. ولم تبق منه سوى بعض الرواسب والمخلفات البسيطة التي لا تشكل مادة جدية للخلاف فضلا عن التناحر بين المسلمين. وإذا كان ينبغي التخلص من تلك الرواسب التاريخية فإنه يجدر أيضا مقارنة تلك الخلافات بعوامل الاختلاف العديدة الأخرى التي تحفل بها حياتنا اليومية، والتي يجب أن نعمل سوية من أجل التخلص منها أيضا، من أجل بناء وحدة اسلامية متينة.

لم يكن الخلاف الطائفي الشيعي - السني ، هو الخلاف الوحيد في تاريخنا الإسلامي وواقعنا المعاصر، فقد كانت ولا تزال هنالك خلافات مريرة داخل كل طائفة، داخل الشيعة والسنة، إضافة إلى الخلافات القومية والقبلية والطبقية والحزبية التي تفجرت عبر التاريخ وتتفجر هنا وهناك باستمرار. بحيث نستطيع القول إن الخلاف الشيعي - السني يتراجع إلى درجة كبيرة أمام تلك الخلافات، وإنه لا يوجد في الحقيقة خلاف جدي بين الطائفتين في الخارج، ما عدا بعض الحواجز النفسية والمسائل البسيطة. وما عدا بعض التوتر الطائفي الذي يعشش في صدور المتطرفين والغلاة من الفريقين، وهم

السنة والشيعة

وحدة الدين
خلاف السياسة والتاريخ

اصدارات مكتبة النافذة في الفرق والمذاهب

- الشيعة (النشأة السياسية والعقيدة الدينية)
- زواج المتعة بين الإباحة والتحريم عند الشيعة وأهل السنة
- المرجع الكامل في الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية
- الفرق الدينية اليهودية في الموسوعة العبرية
- المعتزلة (نشأتهم . فرقهم . آراؤهم الفكرية)
- أكذوبة تحريف القرآن بين السنة والشيعة
- عفوا سيدنا عثمان

9 789776 189317

مكتبة النافذة